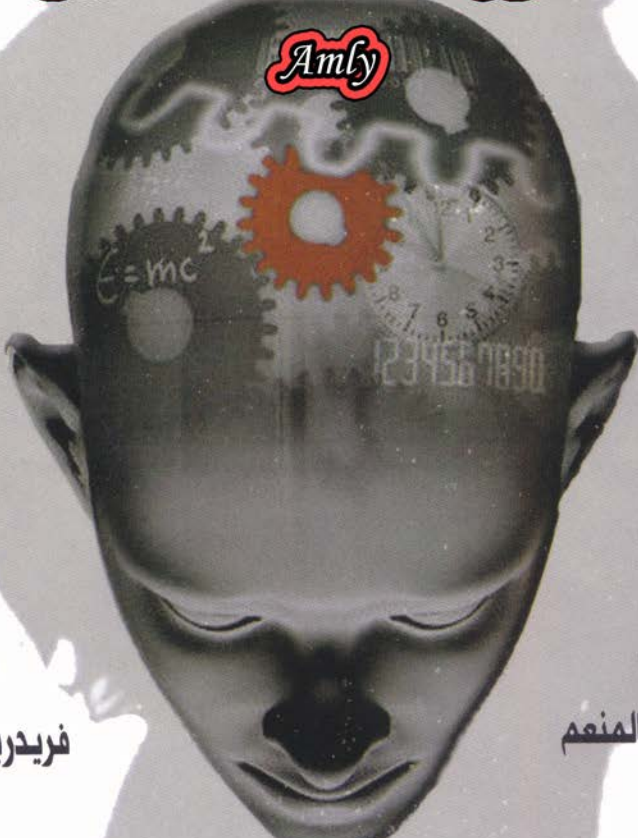
هذا الإنسان



تأليف
فريدريك نيتشه

ترجمة
مجاهد عبد المنعم

هلا للنشر والتوزيع

«هذا الإنسان»

تأليف
فريدريك نيتشه

ترجمة
مجاهد عبد المنعم مجاهد

هلا للنشر والتوزيع

بطاقة فهرسة

نيتشه، فريدريك، ١٨٤٤-١٩٠٠

هذا الإنسان

مجاهد عبد المنعم مجاهد .- الجيزة:

هلا للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨ .

ص ؛ سم .

تدمك ٩ ٣٣٥ ٣٥٦ ٩٧٧

١- الإنسان - فلسفة.

أ - مجاهد، مجاهد عبد المنعم (مترجم)

١٢٨

اسم الكتاب : هذا الإنسان

تأليف : مجاهد عبد المنعم مجاهد

الناشر : هلا للنشر والتوزيع

6 شارع الدكتور حجازى الصحفيين - الجيزة

تليفون : 33041421 فاكس: 33449139

الموقع الإلكترونى : www.halapublishing.net

البريد الإلكترونى : hala@halapublishing.net

مدير التسويق : hazimhala@yahoo.com

رقم الإيداع : 2008/14720

الترقيم الدولى : 977-356-335-9

طباعة : هلا للنشر والتوزيع

طبع وفصل الألوان: هلا للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف: هلا للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

1432 هـ - 2011 م

الإهداء

إلى المفكر والفيلسوف والأديب :

أنيس منصور ... محبةً وتحية

مجاهد عبد المنعم مجاهد

هذا الإنسان

حدد نيتشه بنفسه مهمة حياته عندما أوضحها في هذا الكتاب بقوله: «إن مهمة حياتي هي أن أعِدَّ للإنسانية لحظة للوعي الذاتي الرائع، أعِدَّ أوْجَ ظهيرةٍ عظيمة تحدق للوراء وللأمام معًا، عندما تبزغ من هوْل ما هو عَرضي ومن الكهانة، ولأول مرة تطرح السبب والمكانة فيما يتعلق بالإنسانية ككل». من خلال هذه الرسالة يعيد نيتشه إلقاء الضوء على رحلة حياته وكتبه، بل وحتى أسلوبه في الكتابة، وذلك كي لا يُساء فهمه على نحو ما تنبأ، وما حدث له بالفعل. وهذا الكتاب لم يُكتب بإعداد، بل أراد لكلماته كما أراد لكل كلماته في كل كتبه أن تكون كلمات جرانيتية تستهدف إحداث انقلاب في نفسية القارئ، بل وتأخذه من خناقه حتى يساهم في الانقلاب نفسه.

ولقد أوضح نيتشه أهمية التساؤلات الخلقية؛ لأن هذه التساؤلات – على حد قوله – تحدد مستقبل البشرية، لكنه لا يتوقف عند الأخلاقيات، بل يريد أن يتجاوزها ليبحث في الوجود نفسه، الوجود الإنساني نحو الأفضل، ويخرج الإنسان

من مرحلة الديدان إلى مرحلة الإنسان الأعلى المبشر بالبرق، والذي يحمل القيم الجديدة، قيم الأخلاق النبيلة، قيم تغيير الإنسان بالقضاء على اغتراب الإنسان وانفصاله، وتقويض قيم العبيد المنبثة في حياته، وساعتها يولد الإنسان من جديد. وبهذا يتأكد انتماء نيتشه إلى الفلسفة الوجودية التي تستهدف أن يمارس الإنسان حريته ويرسم من جديد صورته فوق لوحة الزمان.

إن فريدريك نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠) الفيلسوف الألماني الذي ولد وسط الألمان، يرى أنهم قد غرقوا في المثالية فابتعدوا عن الحياة، كما يرى أنه والناس الحقيقيين محكوم عليه وعليهم من جانب الإمَّعات والحمقى والمخادعين والمنتقمين الذين يشوهون العالم والذين يطعنون الإنسانية، ومن هنا فإنه مقاتل يحارب القيم البالية مبشرًا بالجديد والذي هو فَرَح، من أجل أن يجعل كل لحظة في الحياة عيدًا يحتفل به الناس، عيدًا للفرح. إنه يدعو إلى فردوس جديد. لكنه يلاحظ هو نفسه «إن فردوسي قائم في ظل سيفي»....». وهو نفسه يقول عن نفسه: «إنني لست صاحب أحلام يقظة وإنني أستطيع أن أجد فرحًا في سحْب السيف، كما أن لي أيضًا قبضة قوية». إن نيتشه محارب ولهذا فإنه عندما يتفلسف فإنما يحمل مطرقة لهدم القيم، وتشييد الجديد داعيًا

إلى زرادشت جديد. فزرادشت هو المفكر الفارسي القديم الذي من الظلام ينبثق النور على يديه. كما أنه يدعو إلى ديونيزوس جديد. ديونزوس هو ذلك الإله اليوناني القديم الذي هو إله الظلام؛ فهو أقدر الجميع على الغوص في الأعماق بحثًا عن نور جديد. ولقد أدرك نيتشه – ببصيرة شديدة – أن الثقافة والعلم الحديثين قد فقدا البصر والبصيرة، إنهما يكتفيان بإنتاج الهمجية. وبهذا كان نيتشه نذيرًا لنزعة العدمية والتهديم التي سيشهدها من بعده القرن العشرون.

وهذا الكتاب الحالي «هذا الإنسان» قد كتبه نيتشه عام ١٨٨٨ عندما أخذ يضطرب عقليًا. لكنه لم يُنشر إلاّ بعد وفاته، فقد نُشر عام ١٩٠٨. وكما يقول أحد الباحثين إن الكتاب لن يُفهم تمامًا إلا إذا أدركنا روح التهكم والسخرية فيه، إنه ينقد عصره، ويهاجم الألمان أبناء جنسه؛ لأنهم أصحاب نزعة تجزيئية، وهم الذين جعلوه مغتربًا بسبب نزعتهم التي تدَّعي المثالية، والكتاب مفكك. ولا يرجع الأمر فقط إلى ما كان ينتاب نيتشه من لحظات جنون، ولكنه كان يتعمد أسلوبًا خاصًا فهو يكتب وهو أشبه بنسر محلق يلمح في الأفق ومضات ويعبر عن هذه الومضات بومضات، إنه أسلوب أشبه بصاعقة العاصفة الرعدية. لكن أسلوب نيتشه

لم يكن أسلوبًا أجوف ومجرد زخرفة خارجية، فقد أراد أن يعبر عن اغتراب الإنسان ومحاولة قهر اغترابه. يقول: «إنني أصبح واعيًا بدنو قطيع من البقر قبل أن أتمكن من رؤية القطيع بعيني». لقد شعر مسبقًا باختناق الفرد وفقدانه لحريته، ومن أجل هذا قرر نيتشه على حد تعبيره «أن أبني لي سلسلة جبلية من الجبال الأكثر قداسة». وبهذا الإحساس يروي نيتشه في هذا الكتاب تاريخه وتاريخ تكوينه وتاريخ مؤلفاته وعلاقاته بالمثقفين. وعبر عن كل هذا بروح شفافة حيث تستحيل الفصاحة – حسب تعبيره – إلى موسيقى، فالعبارة تهتز انفعالاً ومن ثَمَّ فإن ومضات البرق تسطع فوق مستقبل لم يحلم به إنسان على نحو ما كان يحلم به نيتشه: الفيلسوف والصاعقة معًا.

مجاهد عبد المنعم مجاهد

١٨ / ١٠ / ١٩٩٥

تنويه

حاولنا بقدر الإمكان المحافظة على طريقة نيتشه في الأسلوب الخاص القائم على انفجارات العبارات التي لا يكتمل بعضها، ويعلق أنفاس القراء بعضها الآخر والحافل بعضها الثالث بومضات متأرجحة بين الإبداع والجنون.

تصدير

(١)

في ضوء الحقيقة التي تذهب إلى أنه قبل أن أواجه رفاقي بفترة طويلة بأعظم مطلب يُلْقى على عاتقهم، يلوح لي أنه لا مفر من أن أعلن هنا من أنا، وما هويتي، وكأمر واقع يجب أن يكون هذا معروفًا تمامًا؛ لأنني لم أسمح لنفسي ألا أكون (بلا شاهد). غير أن التباين بين عظمة مهمتي وضآلة معاصريَّ يتضح من أن الناس لم يسمعوا بي أو يروني. إنني أحيا وفق مصداقيتي -وربما من التحامل القول إنني أحيا أصلاً، وكل ما عليَّ هو أن أتحدث إلى أيٍّ من الباحثين الذين يزورون أوبرا أنجادين في الصيف لكي يقنعوني بأنني «لست» حيًا. وفي ظل هذه الظروف فإنَّ من الواجب – وهو واجب تتحفظ إزاءه عاداتي، بل والذي تثور ضده كبريائي أن أقول: «أنصتوا! فإنني على هذا النحو أو ذاك. فبحق الله لا تخلطوا بيني وبين أي شخص آخر!».

(٢)

على سبيل المثال، إنني لست بأي حال من الأحوال حشرة، وحشًا أخلاقيًا. من الحق أن طبيعتي على عكس هذا تمامًا، وعلى عكس مَنْ يجري تكريمه على أنه شخص فاضل، ولكن – فيما بيننا – يلوح لي أنَّ هذا بالضبط هو مدعاة لزهوي. إنني تلميذ للفيلسوف ديونيزوس اليوناني وسوف أكون في التوّ (ساطيرًا)(١) أو إلهًا للغابات، وإنني أفضل هذا على أن أكون قديسًا. وكل ما أطلبه هو أن تقرءوا هذا الكتاب! ربما أكون قد نجحت هنا في التعبير عن هذا التقابل بطريقة حفيّة كلها تعاطف، ربما لا يكون للكتاب أي غرض آخر سوى هذا.

وآخر ما يمكن أن أعِدَ به لإنجازه هو أن أحَسِّن البشرية. إني لا أقيم أوثانًا جديدة، إنني لا أريد سوى أن تتعلم الأوثان القديمة ماذا يعني أن تكون أقدامها من صلصال. أن أطيح بالأوثان (وهو اسم أطلقه على المثُل) هو عين مهمتي. وبقدر ما اخترعنا عالمًا مثاليًا بقدر ما جردنا الواقع من قيمته ومعناه وحقيقته (العالم الحقيقي) و(العالم الظاهري)– بالعربي: العالم الخيالي والواقع. ومن ثَمَ فإن (أكذوبة) المثالي هي لعنة الواقع، وعلى هذا فإن أشد الغرائز الإنسانية تأسيسًا فيه قد أصبحت كاذبة

ومزيفة: ومن ثم أصبحت القيم التي تُعْبد هي بالضبط القيم التي تتطاحن في عداوة مع القيم التي تضمن ازدهار الإنسان ومستقبله وحقه في ذلك المستقبل.

(٣)

إن مَنْ يستطيع أن يتنفس الهواء المُنبث في كتاباتي يستطيع أن يعرف أن هواء القمم العاليات هو الهواء المنعش المنشط. إن الجليد قريب والوحدة مرعبة –ولكن كم هو هادئ كل شيء في إشراقة الشمس! والفلسفة كما فهمتها وعايشتها هي التقاعد الإرادي في منطقة الجليد والقمم الجبلية، والبحث عن كل ما هو غريب ومطروح موضع التساؤل في الوجود وعليه تقيم الأخلاق دعواها. ومن خلال التجربة الطويلة المستمرة من مثل هذه التحوالات في الأرض المحرقة، تعلمت أن أنظر إلى أساس الاصطباغ الخلقي والمثالي لدى البشر بطريقة مختلفة عما قد يبدو مرغوبًا وأليفًا. إن التاريخ السري للفلاسفة وسيكولوجية أسمائهم العظيمة قد انكشفا لي، إلى أي حد يستطيع العقل أن يتحمل الحقيقة؟ إلى حد يجرؤ العقل إزاء الحقيقة. مثل هذه الأسئلة أصبحت بالنسبة لي المعيار الجوهري، وازداد هذا المدى. إن الخطأ (أي الاعتقاد في المثال) ليس العماء، الخطأ هو جُبْن... إن كلّ غزو، وكل تقدم في المعرفة هو نتيجة الشجاعة والتصلب

إزاء النفس. والنظافة إزاء النفس إنني لا أفنّد وأجعلها متهافتة، كل ما هنالك أنني أخلع قفازي في حضرتها... وبالمحظور سوف أغزو، فإنّ ما هو محرم تحريمًا شديدًا هو دائمًا الحقيقة.

(٤)

من بين كل كتاباتي يحتل كتابي (هكذا تكلم زرادشت) مكانة خاصة، ومنه أعطى رفاقي أعظم هدية جرى منحها لهم. وهذا الكتاب الذي يتردد صوته عبر العصور ليس هو ألطف كتاب في العالم فحسب، بل هو أيضًا الكتاب الحقيقي، كتاب الهواء الجبلي – فالظواهر الكلية بل البشرية جمعاء تكمن في موضع لا يمكن إحصاؤه وراءه– لكنه أعمق كتاب وقد ولد من الامتلاء الكامل من الحقيقة: إنه بئر لا ينضب ولا يهبط فيه غواص إلا ويعود وهو محمل بالذهب والخيرات. إنَّ مَنْ يتحدث إليكم هنا لايدعي أنه (نبي). وإذا لم يخطئ أحد خطأ شنيعًا في إصدار حكم على هذا الكتاب فإنه يجب عليه فوق كل شيء أن يعبأ بالنغمات – النغمات المهدئة – هذا هو الذي يصدر من كتاب (هكذا تكلم زرادشت): «إن أعظم الكلمات صمتًا هي المبشرة بالعاصفة؛ والأفكار التي تأتي على جناحَيْ حمامة هي التي تقود العالم.

«إن التينات تتساقط من الأشجار؛ وهي طيبة وحلوة؛ وعندما

تسقط تنفتح قشرتها الحمراء، إنني ريح شمالية بالنسبة للتينات الناضجة».

«وهكذا مثل هذه التينات تتساقط العقائد لكم يا أصدقائي؛ فلتمتصوا عصيرها ومادتها الحلوة الآن! إن الخريف من حولنا والسماء صافية وكذلك أوقات عصاري الأيام».

•

ما من متعصب يتحدث إليكم هنا؛ ليست هذه (موعظة)؛ وليس مطلوبًا منكم أي إيمان. فمن الامتلاء اللامتناهي بنور الفرح وعمقه تصدر كلماتي قطرة قطرة -إن إيقاع هذه الأحاديث بطيء ومحدد. ومثل هذه الأشياء مقصورة على الصفوة الخالصة، ومن الامتياز الرائع أن تكونوا المنصتين هنا؛ وليس كل من يحبّ له آذان يسمع بها (زرادشت). إذن، ألا يمكن أن نقول عن (زرادشت) إنه (المُغوي) والذي يقوم بالإغراء؟... ولكن في الحقيقة ماذا يقول هو نفسه عندما يعود لأول مرة إلى عزلته؟ على العكس تمامًا مما يقوله (الحكيم) أو (القديس) أو (المخلّص) أو أي صفة متهرئة يمكن أن تذكروها... وليست كلماته وحدها المختلفة؛ بل هو نفسه مختلف عنهم.

«إنني يا مريديَّ أمضي وحيدًا! وأنتم أيضًا الآن انطلقوا وحيدين! وهكذا أفهم الأمر.

«ودون ريب إنني أنصحكم: انفصلوا عني واحرسوا أنفسكم ضد زرادشت! بل اخجلوا منه! فربما يكون قد خدعكم.

«إن رجل المعرفة لا يجب أن يقتصر على محبة أعدائه، بل يجب أيضًا أن يكره أصدقاءه.

«إن الإنسان – بطريقة سيئة – يحتاج إلى مدرس إذا ظل مجرد دارس. ولماذا لا تخلعون من فوق رأسي الإكليل؟

«إنكم تبجلونني! ولكن ماذا لو انهار ذات يوم تبجيلكم؟ انتبهوا حتى لا يسحقكم تمثال من التماثيل!

«ألست أنت الذي تقول: آمنوا بزرادشت؟ ولكن عن أي شيء يتحدث زرادشت؟ أنتم المؤمنون بي، ولكن بأي شيء يؤمن المؤمنون؟

«أنتم لم تبحثوا بعد في أنفسكم: ومن ثَمَ فإنّ كل العقائد ليس لها سوى قيمة واهية.

«والآن إنني أُهيب بكم أن تفقدوني حتى تجدوا أنفسكم؛ وعندما تنكرونني جميعًا أعود إليكم».

فريدريك نيتشه

في ذلك اليوم الرائع عندما كان كل شيء ينضج ولم يكن الأمر مقصورًا على العنب وهو يميل إلى لونه البنّي، سقط شعاع من الشمس عبر حياتي: لقد نظرت ورائي وتطلّعت أمامي ولم أر على الإطلاق مثل هذه الأشياء العديدة الرائعة في التو. وليس عبثًا أنني قد دفنتُ سنيني الأربع والأربعين اليوم؛ إنّ لي (الحق) أن أدفنها – فما هو حيوي فيها جرى إنقاذه وهو شيء خالد. إن الكتاب الأول من (تجاوز تقييم كل القيم) و(أغنيات زرادشت) و(أفول الأوثان) ومحاولتي أن أتفلسف بمطرقة – كلّها هي هبات هذه السنة، بل هي هبات ربعها الأخير – (كيف يمكنني أن أكون شاكرًا بكل حياتي؟).

وهكذا أنا شارعٌ في أن أحكي لنفسي قصة تلك الحياة.

لماذا أنا حكيم جدًا

(١)

إن سعادة وجودي، وربما الطابعَ الفريد لهذا الوجود، تكمن في طابعها المصيري: إنني أعبّر عنها على شكل لغز. بالنسبة لأبي فإنني قد متّ من قبل، وبالنسبة لأمي ما زلتُ حيًا وأكبرُ في العمر. هذا الأصل المزدوج –وقد استمددته من أعلى ومن أسفل درجات سلم الحياة–. هو في الوقت نفسه انهيار وابتداء، وهذا يفسر ذلك الحياد، تلك الحرية من المشايعة بالنسبة للمشكلة العامة للحياة، وذلك ما يميزني، إنني حساس بالنسبة للمكونات الأولى صعودًا وهبوطًا أكثر من أي إنسان آخر قد وُجِد حتى الآن. وفي هذا المجال إنني أستاذ بارع (ممتاز)– إنني أعرف كلا الجانبين لأنني كلا الجانبين. لقد مات أبي وهو في السادسة والثلاثين. لقد كان مريضًا ومحبوبًا ورقيقًا أشبه بمن كُتب عليه المصير أن يعيش عمرًا قصيرًا – إنه إنسانٌ يذكّرنا بالحياة أكثر منه الحياة نفسها. وفي نفس العمر الذي انهارت فيه حياته انهرْت أنا أيضًا؛ ففي سن السادسة والثلاثين تدنّت حيويتي

إلى أدنى نقطة لها - إنني ما زلت حيًا، لكنني لا أستطيع أن أرى إلى أبعد من ثلاث خطوات أمامي. في ذلك الوقت -وكان هذا عام ١٨٧٩- استقلت من عملي كأستاذ بجامعة بازل، وعشت خلال الصيف أشبه بظل في سنت موريتز، وهي مدينة في جنوب غربي سويسرا -وأمضيت الصيف التالي- وهي أطول فترة في حياتي - بلا شمس، وكُنْت في أدنى حالات انحطاطي. وكان كتاب (الهائم وظله) نتاج تلك الفترة. وليس هناك شك أنني كنت أليفًا مع الظلال آنذاك.

وحمل لي الشتاء التالي - وهو أول شتاء لي في جنوة بإيطاليا - تلك العذوبة والروحانية اللتين لا تنفصلان واللازمتين لفقر الدم واحتياجات العضلات، وجاء هذا على شكل كتاب (الفجر). إن الألق والتألق الكاملين والوفرة العقلية اللتي يعكسها هذا العمل لا تتطابق في حالتي مع أكبر ضعف جسماني عميق فحسب، بل تتطابق أيضًا مع إفراط في المعاناة. ووسط الكرب الناجم من الصداع المستمر لمدة اثنتين وسبعين ساعة، والنوبات العنيفة من الغثيان تولّاني وضوح جدلي فريد، وفكرت بهدوء شديد في عدة أشياء وهو أنني في أشد لحظات الصحة اكتشفت أنني لست متسلقًا جيدًا، وإنني لسْت بارعًا بما فيه الكفاية؛ وقد يعرف

قرائي إلى أي حد أعتبر الجدل علامة على التفسّخ ممثلاً في أشهر حالة على الإطلاق وهي حالة سقراط. إنّ كل أشكال الاضطراب المرضي للعقل حتى شبه الْخَدَر الذي يعقب الحمى، كلها كانت في ذلك اليوم غريبة عليَّ؛ وحتى أعرف طبيعتها وكثرتها كان عليَّ أن أرجع إلى الكتب المتخصصة. إن دورة دمي بطيئة، ولم يكن أحد قادرًا على الإطلاق أن يكتشف الحمّى في داخلي. وهناك طبيب عالجني بعض الوقت باعتباري مريضًا عصبيًا أعلن أخيرًا: «كلا! ليس هناك شيء بالنسبة لأعصابك (أنت)؛ أنا نفسي العصبي». إنهم لم يكونوا قادرين على اكتشاف أي مرض فيَّ أو أي اضطراب مَعدِي عضوي، وإن كنُتُ قد عانيت كثيرًا من ضعف عميق في الجهاز المعدي نتيجة إنهاك عام. وحتى اضطراب عيني الذي يكاد يقترب من خطر الإصابة بالعمى ليس إلا معلولاً لا علة؛ فمع كل تحسّن لصحتي الجسمانية العامة يأتي ازدياد مقابل في قوة رؤيتي. وعلى طول السلسلة المتصلة الممتدة للسنين يكون هناك شقاء لي، ولكن يؤسفني أن أقول إنه يعني أيضًا انتكاسة، انهيارًا، وفترات من الانحطاط. وبعد كل هذا هل أنا محتاج إلى أن أقول إنني إخصائي في مسائل الانحطاط والتدهور؟ إنني أعرف هذه المسائل داخليًا وخارجيًا؛ وحتى ذلك الفن المزخرف للإدراك والاستيعاب بصفة عامة، ذلك الشعور

بالفروق، تلك السيكولوجية الخاصة «برؤية ماوراء الزاوية» وأي شيء آخر أكون قادرًا على فعله، قد عُرف لأول مرة، وهو الهِبَة الخاصة لتلك الفقرة التي كان فيها كل شيء مني يرهف الذهن – الملاحظة – مع كل أجهزة الملاحظة. إنَّ رؤية المفاهيم والقيم الأكثر صحة من وجهة نظر المريض، والعكس رؤية العمل السري لغريزة الانهيار من الوفرة والثقة بالذات لحياة غنية – هذه هي تجربتي الرئيسية، هو ما تدربت عليه كثيرًا، إذا كان في أي شيء على الإطلاق فإنني في هذا أكون أستاذًا بارعًا، اليوم يدي بارعة؛ إن عندها براعة المنظورات العكسية. وربما كان هذا هو السبب الأول الذي كان من أجله كتابي (تجاوز تقييم كل القيم) ممكنًا بالنسبة لي أنا وحدي.

(٢)

موافق على أنني متفسِّخ لكنني أيضًا العكس من هذا على طول الخط. ومن بين كل البراهين الأخرى لديّ هذا البرهان، إنني دائمًا ما أختار بحكم الغريزة العلاج الملائم مفضّلاً إياه على أشكال العلاج الضارة؛ على حين أن المتفسخ كمتفسّخ يختار دون تنوع أشكال العلاج السيئة بالنسبة له. وأنا ككل أتمتع بالصحة ولكن في تفاصيل معينة أنا متفسخ. فهناك الطاقة

التي أرغمت بها نفسي على العزلة الكاملة، وعلى اغتراب من عادات حياتي المعتادة، والنظام الذاتي الذي منعني من أن يتم إشباع رغباتي، وكل هذه الأمور تفضح اليقين المطلق لغرائزي بالنسبة لما كان في ذلك الوقت أكثر الأشياء احتياجًا بالنسبة لي. لقد وضعت نفسي بين يدي واستعدت نفسي للصحة. وحتى أفعل هذا على الإنسان أن يكون قويًا أساسًا، وهو الشرط الأول للنجاح كما يقرّ بكل هذا كل علماء اللغة. إن الطبيعة المرضية بشكل نمطي لا يمكن أن تصبح صحية على الإطلاق. ومقابل هذا، فإنه بالنسبة للطبيعة القوية بشكل غريزي قد يصلح المرض أن يكون باعثًا قويًا على الحياة وعلى وحدة الحياة. وهكذا كانت نظرتي لفترة مرضي الطويلة.

لقد بدا آنذاك كما لو كنت قد اكتشفت حياتي من جديد، اكتشفت ما تتضمنه ذاتي. لقد تذوقت كل الأشياء الطيبة، بل حتى التافهة بشكل لا يستطيع الآخرون أن يتذوقوها بشكل طيب -فانطلاقًا من إرادتي في الصحة والحياة صغت فلسفتي... إنني أحب أن يكون هذا مفهومًا؛ ففي تلك السنوات من أشد انحطاط لحيويتي كففت عن أن أكون متشائمًا: إن غريزة الشفاء الذاتي منعت قيام فلسفة للمَسْغَبة واليأس. والآن كيف يمكن لنا أن ندرك أحسن منتجات الطبيعة الممتازة؟

إنه يمكن معرفتها من خلال أن الإنسان الممتاز لهذا النوع يبهج حواسّنا؛ إنه منحوت من كتلة واحدة، كتلة صلبة وحلوة وعطرة. إنه لا يستمتع إلاّ بما هو طيب بالنسبة له: إن لذته أو رغبته كامنة عندما يتم تجاوز حدود ما هو طيب بالنسبة له. إنه يقدّس العلاجات ضد الجروح؛ إنه يعرف كيف يحول الحوادث الجادة لصالحه، إنّ ما لا تقبله يجعله أقوى. إنه يجمع بشكل غريزي مادته من كل ما يراه ويسمعه ويعايشه. إنه مبدأ اختيار؛ إنه يرفض الكثير. إنه دائمًا في رفقة نفسه سواء كانت اتصالاته مع الكتب أو الناس أو المنظر الطبيعي؛ إنه يبجل الأشياء التي يختارها والأشياء التي يعترف بها والأشياء التي يثق بها. وهو يتعرف ببطء - إزاء كل أنواع البواعث - يختبر الباعث الذي يتقارب ويدنو، إنه لا يفكر في التوجه إليه. إنه لا يؤمن بسوء الحظ أو الإثم؛ إنه يستطيع أن يستوعب نفسه والآخرين؛ إنه يعرف كيف ينسى - إنه قوي بما فيه الكفاية فيجعل كل شيء يتحول لصالحه. وهكذا إنني على العكس تمامًا من الإنسان المنحط المتفسخ؛ إنني ليس إلا نفسي.

(٣)

هذه السلسلة المزدوجة من التجارب، هذه الوسيلة من

الاقتراب من عالمين يبدوان متباعدين تجد انعكاسًا دقيقًا في طبيعتي – إن لي ذاتًا أخرى: إن لدي بصرًا (ثانيًا) مماثلاً لبصري الأول، وربما لديَّ حتى بصر ثالث. إن طبيعتي الخالصة تسمح بنظرة تتجاوز مجرد الآفاق المحلية والقومية والمحدودة، ولم يكلفني الأمر أي جَهْد لكي أكون (أوروبيًا ممتازًا) من جهة أخرى. ربما أنا ألماني أكثر من الألمان المحدثين – مجرد الألمان الامبرياليين الذين يمكن أن يوجودوا – إنني آخر الألمان المضادين للسياسة. ومع هذا فإن أسلافي كانوا نبلاء بولنديين: وبفضلهم فإن هناك غريزة عِرْقية كبيرة في دمي – من يعرف؟ ربما مغروس فيَّ بحق الاعتراض الممنوح للنبيل البولندي في رفض أي قانون. وعندما أفكر في كيف أنني كثيرًا ما يخاطبني البعض باعتباري بولنديًا إذا ما سافرت، فإنني أجد أن البولنديين أنفسهم يفعلون هذا معي، ونادرًا ما ينظر إلىَّ على أنني ألماني، ويبدو لي الأمر كما لو كنت أنتمي إلى أولئك الذين ليس لديهم سوى ذرة من الألمانية. غير أن أمي فرازيكا . وهل هي ألمانية خالصة وكذلك جدتي لأبي إدموث كروس؟ وهذه الأخيرة أمضت شبابها في فيمار القديمة، وقد اتصلت بدائرة جوته. وأخوها كروس أستاذ اللاهوت في لوكسمبرج قد عُين في وظيفة مدير عام في فيمار بعد وفاة المفكر والأديب هردر. وليس من المستبعد أن

تكون أمها هي التي ظهرت في مذكرات جوته الشاب تحت اسم (موتجن). وزوجها الثاني هو المدير نيتشه أوف إيلنبرج.

وفي يوم ١٠ أكتوبر ١٨١٣ أي عام الحرب العظيمة عندما دخل نابليون بقواته مدينة ألتنبرج، أنجبت ولدًا. ولما كانت ساكسونية فإنها أبدت إعجابًا شديدًا بنابليون وربما أنا أيضًا أُعجب به حتى الآن.

إن والدي الذي ولد في عام ١٨١٣ قد مات عام ١٨٤٩ وقبل أن يتولى أبرشية روكن التي لا تبعد كثيرًا عن لوتزن عاش بضع سنين في كاسل أوف ألتنبرج حيث تولى تربية أربع أميرات وتلميذاته هن : ملكة هانوفر ودوقة قنسطنطين الكبرى ودوقة أولدنبرج الكبرى والأميرة تريزا أوف ساكس ألتنبرج. وكان والدي يكن تقديرًا يصل إلى حد القداسة والورع للملك البروسي فريدريك ولهلم الرابع ومنه حصل على معاشه في روكن؛ وقد سببت له أحداث ١٨٤٨ أسفًا شديدًا. ولما كنتُ قد وُلدت يوم ١٥أكتوبر، وهو عيد ميلاد الملك السابق ذكره، فقد أُطلق عليّ بشكل طبيعي اسم فريدريك ولهلم وهو من أسماء أسرة هوهنزولرن. وفي كل هذه الأحداث كانت هناك ميزة واحدة في الاختيار، ففي ذلك اليوم ظل مولدي طوال طفولتي عيدًا عامًا.

ولقد اعتبرت هذا ميزة كبيرة أن يكون لي مثل هذا الأب؛ بل لقد لاح لي أن هذا يستنفد كل ما أقوله عن مسألة المزايا - الحياة المتوقعة. إنَّ ما أدين به له فوق كل هذا هو أنني لا أحتاج إلى أي انتباه خاص، بل مجرد الصبر لكي أدخل على نحو إرادي في عالم الأشياء الأعلى والأرقى: هناك أكون في بيتي، هناك فقط يكون لانفعالي العميق حرية اللعب. وكوني كنتُ أدفع مقابل هذه الميزة حياتي لم يجعل هذا مقايضة سيئة. فحتى القليل من كتابي (هكذا تكلم زرادشت) ربما يجب على الإنسان أن يوجد في موقف مثل موقفي وله قدم فيما وراء الحياة.

(٤)

أنا لم أتربَّ إطلاقًا على إثارة التطاحن والتشاحن (ولهذا أيضًا أشكر أبي الذي ليس له مثيل)، حتى عندما بدا لي أن هذا جدير بأن يحدث. وعلى أي حال قد يبدو الأمر وكأنه ليس له طابع مسيحي، فإنني حتى لا أطيق أي شعور مرضي تجاه نفسي. اختبروا حياتي كما تشاؤون فلن تجدوا سوى أثر نادر واحد - وواحد فقط - لمن أظهر لي سوء إرادة، ولكن ربما تكتشفون أيضًا آثارًا عديدة من الإرادة الطيبة... إن تجاربي حتى مع أولئك الذين كل علاقات الناس الأخرى معهم

تسبب كارثة تنطق – دون استثناء بأنها في صالحهم؛ إنني أجعل كل دُبٍّ أليفًا، إنني أستطيع أن أجعل حتى المهرجين يتصرفون تصرفًا حسنًا، وخلال السنوات السبع التي درست فيها اللغة اليونانية للطبقة العليا بكلية بازل لم تُتح لي فرصة توقيع عقوبة، حتى أكثر الشباب كسلاً، كانوا يبدون عناية شديدة واهتمامًا كبيرًا في الفصل الذي أدرس فيه. والحوادث كانت دائمًا تجدني مستعدًا لها؛ يجب أن أكون مستعدًا لكي أحافظ على قيادتي لذاتي. أستطيع أن أتناول أي آلة، حتى لو كانت الآلة (الإنسان) فإنني أستطيع أن ألاطفها واستخرج منها شيئًا جديرًا بالسماع. وكثيرًا ما كانت تحكي لي الآلات نفسها أنها لم تسمع من قبل مثل هذه الأصوات. وربما أكبر تعبير ساحر لهذا الشعور هو أن الشاب هنريخ فون شتين السياسي الألماني الذي مات في هذه السن المبكرة كان قد ظهر ذات يوم في سيلز – ماريا لإقامة استمرت ثلاثة أيام، وكان يشرح لكل واحد هناك أنه (لم) يأت بسبب وادى أنجادين في سويسرا. هذا الشخص الممتاز بكل ما عند النبيل البروسي من بساطة متهورة قد غرق عميقًا في المستنقع الفاجنري، نسبة إلى الموسيقار ريتشارد فاجنر (كما غرق بجانب هذا في مستنقع الفيلسوف والعالم يوجين دورنج!) وقد بدا هذا خلال الأيام الثلاثة، وقد

كاد أن يتبدَّى في الأعالي وأصبحت له أجنحة مرة أخرى؛ ولهذا قلت له إن هذا هو مجرد نتيجة للهواء المنعش. وكل إنسان شعر بالأمر نفسه – لا يستطيع الإنسان أن يقف على ارتفاع ٦٠٠٠ قدم فوق مدينة بيرويت دون أن يشعر به– لكنه لم يصدقني... وبصرف النظر عمًّا إذا كان كل هذا راجعًا إلى أنني كنت ضحية العداوة البسيطة أو حتى الكبيرة أم لا، فإن الإرادة (السيئة) على الأقل لم تكن هي التي تسببت فيه، بل بالأحرى كما أشرت من قبل كانت الإرادة الطيبة هي التي منحتني سببًا للشكوى، تلك الإرادة الطيبة هي المسئولة عن القدر الهائل من الضرر في حياتي. إنّ تجربتي أعطتني الحق فى أن أشعر بالشك فيما يتعلق بكل ما يُسمى بالميول (غير الأنانية)، وفيما يتعلق بالنسبة لكل (حب للجيران) الجاهز والذي ينتظر الأعمال أو النصح، لقد لاح لي أنها علامات ضعف وأمثلة للعجز في وجه التحريض – وليس إلاَّ بين المتفسخين أن هذه (الشفقة) تسمى فضيلة. إن ما ألومه بالنسبة للشفقة هو أنهم مستعدون تمامًا لنسيان التواصل والتبجيل ولذاذة الشعور الذي يعرف كيف يبقى على المسافات؛ لقد نسوا أن هذه الشفقة الانفعالية العاطفية تنتن بالغوغاء وأنها ليست سوى خطوة ممحاة من العادات السيئة – فهذه الأيدي الحانية قد تكون متعطشة للنتائج المدمرة في مصير

كبير وفي عزلة جارحة وبمزايا الخطيئة الكبرى. إنني أعتبر نهر الشفقة من بين الفضائل النبيلة. وفي (تأمل زرادشت) تخيلت حالة تُسمع فيها صيحة ألم كبرى تكتسح الشفقة وتحط عليه أشبه بخطيئة أخيرة؛ لكي تجعله ييأس في إيمانه بنفسه، أن تظل سيد نفسك في مثل هذه الظروف وأن تبقى خلال رسالتك حرًا من الدوافع غير النبيلة المحدودة التي تسمى الأفعال غير الأنانية مثيرة - هذا هو الاختبار - ربما آخر الاختبارات التي على زرادشت أن يخوضها، إنها البرهان الحق لقواه.

(٥)

في مجال آخر إنني بكل بساطة مثل أبي مرة أخرى، وكأن هذا استمرار لحياة أبي بعد موته المبكر. ومثل الإنسان الذي لم يلتق إطلاقًا بقرينه الذي يضاهيه، وبالنسبة لمن عنده فكرة (التأثر) هي فكرة غير مستوعبة مثل فكرة (الحقوق المتساوية)؛ فإنني حرمت نفسي من كل مقاييس ومعايير الأمان أو الحماية - وكذلك بطبيعة الحال حرمتها من الدفاع أو (التبرير) في كل الحالات التي واجهت فيها الغباء سواء كان تافهًا أو (كبيرًا جدًا). إن شكل انتقامي هو على هذا النحو قدر الإمكان، إنني أتبع مواجهتي مع الغباء بشيء من البراعة، بهذه الوسيلة

ربما يستطيع الإنسان أن يستحوذ عليها، واسمحوا لي أن أقدم صورة لما أريد أن أقوله: إنني أبتلع علبة مربى لكي أتخلص من الطعم المر. بمجرد ما يثير المرء عداوتي فإنني (أنتقم) ويجب أن يتأكد من هذا: قبل أن أجد فرصة للتعبير عن شكر للمعتدي لي أو أن (أطلب) منه شيئًا قد يكون لطيفًا أكثر منه منحًا. ويبدو لي أيضًا أن أوقح كلمة، أوقح عرف له طبيعة أكثر روعة وأمانة من الصمت. إن مَنْ يبقون صامتين هم في الغالب دائمًا تنقصهم العذوبة ورقة القلب؛ إن الصمت اعتراض؛ إن ابتلاع الأسى يُنْتج بالضرورة مزاجًا سيئًا – بل إنه يتعب حتى المعدة . كل الناس الصامتين سيئو الهضم. وقد تلاحظون أنني لا أعبأ بأن أرى الوقاحة وقد أسيء تقديرها؛ إنها أشد أشكال التناقض إذلالاً وسط التخنث الحديث؛ إنها من أولى فضائلنا، فإذا كان الإنسان ثرًا وغنيًا بما فيه الكفاية بالنسبة لها فإنه قد يكون من المفرح للإنسان أن يكون مخطئًا. إن إلهًا ينزل إلى الأرض لن يستطيع أن يفعل شيئًا سوى أن يخطئ – فإن حمل الإنسان (لخطيئته) لا العقاب هو أول علامة على الألوهية.

(٦)

التحرر من الاستياء وفهم الاستياء – مَنْ يعرف فوق كل

شيء كم أنا مدين كثيرًا لمرضي الطويل بالنسبة لهذه الأشياء! إن المشكلة ليست بالدقة بسيطة؛ إن الإنسان يجب أن يعيش التجارب من خلال قوته وضعفه معًا. فإذا استطعنا أن نتحمل أى شكوى ضد المرض والضعف فإن الأمر أنه مع هذا تتآكل غريزة الشفاء نفسها التي هي غريزة الدفاع والحرب في الإنسان. إنه لا يعرف كيف يتخلص من أي شيء وكيف ينهي أي شيء وكيف يلقي بأي شيء وراءه. إن كل شيء يجرحه: الناس والأشياء يبرزان في تلاصق معًا وكل التجارب تضرب عميقًا، والذاكرة هي مخزن متقيح.

إن المرض نوع من الاستياء في ذاته، وضده فإن الباطل ليس له سوى علاج واحد - إنني أسميه (القدرية الروسية). هي تلك القدرية غير المتمردة التي يتحلى بها الجندي الروسي عندما تصبح الحملة غير محتملة فإنه يرقد في النهاية في الثلوج. إن عدم تقبل أي شيء إضافة - والتوقف تمامًا عن رد الفعل... إن الحصافة الشديدة لهذه القدرية التي ليست هي مجرد شجاعة دائمًا في وجه الموت، ولكنها في ظل أشد الظروف خطرًا قد تعمل نحو الحفاظ على الذات، ترقى إلى تقليل النشاط في الوظائف الحيوية والإبطاء الذي يشبه نوعًا من الإرادة في حالة السُّبات.

وهناك خطوات أبعد في هذا الاتجاه لدى الفقير الذي ينام أسابيع في مقبرة. ولما كان الإنسان يتعود بسرعة إذا ما تصرف إزاء هذا، فإن الإنسان لا يعود يتصرف على الإطلاق : هذا هو المبدأ. لا شيء يستنفد الإنسان أسرع من انفعال الاستياء. إن إماتة الشهوات، قابلية الحساسية المرضية، العجز عن الانتقام لنفسه، الرغبة في التعطش للانتقام، تجهيز كل نوع من أنواع السموم - للإنسان المنهك المستهلك، هذا هو بالتأكيد أكبر طريقة لرد الفعل. إنه يتضمن استنفادًا سريعًا للطاقة العصبية، زيادة غير عادية في الإفرازات الضارة، وعلى سبيل المثال زيادة الصفراء في المعدة. إن الاستياء يجب منعه فوق كل شيء عن المريض - فهذا هو خطره (هو) الخاص: فإذا اقتضى الأمر فإنني أنتظر حتى تصبح هكذا. ثانيًا: إنني لا أحارب سوى الأشياء التي لا يكون لي حلفاء مع ضدها، والتي أقف إزاءها وحيدًا، والتي ضدها لا أضم سوى نفسي... إنني بصراحة لا أتخذ خطوة واحدة إطلاقًا لا تضم نفسي. هذا هو معياري (أنا) بالنسبة للحالة السديدة للفعل. ثالثًا: إنني لا أهاجم الأشخاص إطلاقًا - إنني لا أستغل الشخصية إلا لتكون مرآة مصقولة قوية، والتي بها أعتبرها شرًا عامًا فعلاً، وإن كان مرئيًا. وبهذه الطريقة هاجمت الفيلسوف ديفيد شتراوس، أو بدقة أكبر

هاجمت الترحيب الشديد الذي استقبلت به طبقات ألمانيا المثقفة كتابًا مفردًا -ومن ثم أمسك بهذه الثقافة وهي ملتهبة، وبهذه الطريقة هاجمت فاجنر أو بدقة أشد الزيف أو الغرائز الهجينة (لثقافتنا) التي تخلط الرهافة المفرطة بالوفرة والتفسخ بالعظمة. رابعًا: إنني لا أهاجم سوى تلك الأشياء التي فيها يتم استبعاد كل الفروق الشخصية والتي تنقصها أي خلفيات للتجارب غير السارة. وفي الحقيقة إن الهجوم هو بالنسبة لي برهان على الإرادة الطيبة، وفي بعض الظروف المعينة هو دليل على العرفان بالجميل. إنني بالهجوم أمجد شيئًا وأميز شيئًا، والأمر سواء بالنسبة لي فيما لو ربطتُ اسمي بمؤسسة أو شخص أو ما إذا كنت (ضد) أو مع أي منهم. فإذا أشعلت الحرب ضد المسيحية فإنني أفعل هذا لأنني لم أجد أي مصاعب أو مشاق من هذه الناحية - إن أكثر المسيحيين حرارة هم محتقرون دائمًا في نظري؛ إنني شخصيًا أقصى خصم للمسيحية. إنني أبعد من أن أعدّ الفرد مسئولاً عما يُظْهر بشكل حتمي من العصور الطويلة الممتدة.

(٨)

هل لي أن أغامر فأبرز مَعْلمًا أخيرًا لطبيعتي لم يسبب لي

مصاعب بسيطة خلال اشتباكي مع الناس؟ إنني وُهِبت غريزة غير مكارة بالمرة هي غريزة النظافة؛ حتى إنني أستطيع أن أؤكد فسيولوجيا أنني أشم – القرب إن جاز لي القول – أشم اللب الجوهري، أشم (أحشاء) كل نفس إنسانية، هذه الحساسية لها قرون استشعار سيكولوجوية بها أشعر وأتناول كل سر: القذارة الخفية في أساس العديد من الطبائع الإنسانية التي ربما تكون نتيجة دم منحط، والتي ربما قد طُرحت بإفراط من جراء التربية، وهذا ينكشف لي من أول لمحة. فإذا كانت ملاحظتي صحيحة فإن مثل هؤلاء الناس الذين لا يطيقهم إحساسي بالنظافة، يصبحون داعين من جانبهم بنزعة الحذر الناتجة عن اشمئزازي، وهذا لا يجعل لهم بأي حال من الأحوال أي عبير ... إن موقفًا صارمًا للنظافة نحو نفسي هو الشرط الأول لوجودي؛ إنني أموت في الوسط غير النظيف، ولهذا عودت نفسي دائمًا على السباحة والاستحمام والاغتسال دومًا في الماء، في أي نوع من العناصر الشفافة والمتألقة والكاملة. وذلك هو السبب الذي لا يجعل الاشتباك الاجتماعي محطًا بسيطًا بالنسبة لصبري، إن إنسانيتي لا تقوم في أن أتعاطف مع مشاعر رفاقي، غير أنني أستطيع أن أطيق ذلك التعاطف. إن إنسانيتي هي سيطرة مستمرة على الذات. غير أنني محتاج إلى الوحدة –أي الشقاء،

محتاج إلى العودة إلى نفسي، محتاج إلى التنفس بحرية، محتاج إلى الضوء، محتاج إلى الهواء النقي. إن (زرادشت) بطلي ليس سوى أغنية من نوع الديثرامب من الوحدة أو النقاء إذا جاز لنا الفهم الحق. ولحسن الحظ ليس هذا من (الحماقة الخالصة)؛ إن من له عين معتادة على الألوان يسمى الأنوار ماسات. إن الاشمئزاز من البشرية، من الحشد هو دائمًا أكبر أخطاري. هل لكم أن تستمعوا للكلمات التي يتحدث بها زرادشت عن الخلاص من الاشمئزاز؟

«ماذا حدث لي؟ كيف حررت نفسي من الاشمئزاز؟ من ذا الذي جدد شباب عيني؟ كيف طرت إلى الذرى حيث لا يعود يجلس أي حشد عند الآبار؟

«هل اشمئزازي نفسه هو الذي خلق لي أجنحة وقوى تجنيح؟ حقًا إلى أعلى الذرى عليَّ أن أطير لأجد مرة أخرى بئر الابتهاج!

«أواه لقد وجدته يا إخوتي! هنا على أعلى الذرى يزيد من أجلي بئر الابتهاج. وهناك حياة عند تلك الحياة التي لا يشرب منها الحشد معي!

«تكاد بعنف شديد – أن تتدفق من أجلي تلك النافورة من الابتهاج وفي الغالب عليك أن تفرغ كأسك مرة أخرى إن كنت تريد أن تملأها!

«ومع هذا عليّ أن أتعلم أن أقترب منكم على نحو أكثر تواضعًا، فبعنف شديد جدًا لا يزال قلبي يتدفق نحوكم:

«إن قلبي الذي يحترق فيه صيفي؛ صيفي القصير الحار الكثيف المفرط في السعادة: كيف يحنّ قلبي الصيفي لبرودتكم!

« لقد ولَّى الأسى المتريث لربيعي! لقد ولّى ضعف كراتي الثلجية في يونيو! لقد أصبح كلي صيفًا؛ بل ظهيرة صيف بكاملها.

«إن صيفًا على أعلى الذرى مع نافورات باردة وسكون مبارك: أوه، تعالوا يا أصدقائي، فقد يصبح الهدوء أكثر بركة!

«هذه هي ذروتنا وموطننا، عاليًا جوًا ومنحدرًا نسكن هنا بالنسبة لكل غير النظيفين وبالنسبة لتعطشهم.

«لا تلقوا إلا بعيونكم الصافية في بئر ابتهاجي يا أصدقائي! كيف يمكن أن يصبح عكرًا! إنه سوف يضحك في وجهكم بصفاته (هو).

«على شجرة المستقبل نبني عشنا؛ وسوف تحمل النسور لنا نحن المتوحدين طعامًا في مناقيرها!

«حقًا ليس طعامًا مما يشارك فيه غير الأنقياء! سوف يعتقدون أنهم التهموا نيرانًا ويحرقون أفواههم!

«حقًا إننا لا نحتفظ هنا بأي مقر جاهز لغير الأنقياء! كهف من ثلج لأجسامهم ستكون سعادتنا لأرواحهم».

«وكالرياح القوية سوف نعيش فوقهم ونحن جيران للنور، جيران للثلوج، جيران للشمس: هكذا تعيش الرياح القوية.

«ومثل ريح سوف أهبُّ ذات يوم بينها وبروحي أتنفس من أرواحها: وهكذا أريد مستقبلي.

«حقًا ريح قوية هي زرادشت بالنسبة لكل الأماكن المنخفضة وهذه النصيحة سيوجهها لأعدائه، لأي شيء يبصق ويتقيأ: «احرصوا على ألا تبصقوا (ضد) الريح».

لماذا أنا بهذه المهارة؟

(١)

لماذا أعرف أكثر مما يعرف الآخرون؟ لماذا – بصفة عامة – أنا بهذه المهارة؟ لم يحدث إطلاقًا أن توقفت عند الأسئلة التي ليست أسئلة حقًا، ولم يحدث إطلاقًا أنني استنفدت قواي. فعلى سبيل المثال، ليست لديَّ خبرة بالمشكلات الدينية الحقيقية، وأنا لست على ألفة بالشعور (بالخطيئة) وبالمثل ينقصني معيار صادق لتحديد وخز الضمير: ومما يسمعه الإنسان فإن وخز الضمير لا يلوح لي شيئًا جديرًا بالتبجيل.

أنا أكره أن أترك فعلاً من أفعالي يتسكع؛ إنني أحب أن أقتلع كلية النتيجة السيئة، النتائج، من أي مشكلة تتضمن القيم. في وجه النتائج الشريرة من السهل للغاية أن أفقد الوجهة الحقة التي أنظر منها إلى الحدث. إن وخز الضمير يبدو لي نوعًا من (العين الشريرة). إن شيئًا يفشل يجب أن يُكرَّم على نحو أفضل لا شيء سوى أنه فشل – هذا يتفق على نحو أفضل مع أخلاقياتي – (الله). (خلود النفس). (الخلاص). (الما وراء) – هذه مجرد

أفكار لا أوجه إليها أي انتباه، ولم أضيع إزاءها أي وقت حتى وأنا طفل - وإن كان من الأرجح أنني لم أكن طفلاً بما فيه الكفاية - وأنا لست على دراية بالمرة بالإلحاد نتيجة لهذا، إن المسألة بالنسبة لي مسألة غريزة. إنني دائم التساؤل على نحو شديد؛ شكاك على نحو مفرط ومتكبر على نحو شديد؛ فلا أدع نفسي تقنع بحل للأشياء يكون واضحًا وسهلاً. والله هو حل واضح وسهل؛ حل غير مريح بالمرة بالنسبة لنا نحن المفكرين- .

وفي الأعماق إن (الألوهية) ليست سوى (أمر) فج ضدنا. أنتم لن تفكروا؛ (إنني مهتم أكثر بمسألة أخرى) - عليها يتوقف (خلاص البشرية) أكثر من اهتمامي بالفضول اللاهوتي، إنها مسألة التغذية، فلدواعٍ عادية يمكن صياغة المسألة على النحو التالي:

«كيف يمكن (لكم) بالضبط أن تغذوا أنفسكم لكي تصلوا إلى ذروة قوتكم أو (فضيلتكم) بأسلوب عصر النهضة - الفضيلة المتحررة من الأخلاقيات؟ «هنا تكون تجاربي على وعي بهذه المسألة وأن أستخلص (الفهم) من تجاربي. وفي التفاهة الكلية لثقافتنا الألمانية - مثاليتها - يمكن إلى حد ما تفسير أنه في هذه المسألة ذاتها كنت متأخرًا وإن جهلي كان مطبقًا. فهذه (الثقافة)

من أولها إلى آخرها تعلم الإنسان أن يفقد بصيرته إزاء الحقائق. وبدلاً من هذا نجري وراء أهداف إشكالية تُسمى مثالية؛ وعلى سبيل المثال (الثقافة الكلاسيكية) – كما لو لم يكن محتمًا علينا منذ البداية في مسعانا أن أن نوحد (الكلاسيكي) و(الألماني) في مفهوم واحد! بل إن الأمر ليدعو إلى شيء من السخرية – مجرد محاولة تصوير مواطن من ليبزج مثقف كلاسيكي ! في الحقيقة إنني أعترف بأنه حتى سن النضج كان طعامي سيئًا – وإذا عبرت عن هذا بالمصطلحات الأخلاقية – كان طعامي (لا شخصيًا) و(لا ذاتيًا) و(غيريًا) بالنسبة لعظمة الطباخين والرفاق المسيحيين الآخرين. فمثلاً كان طبيخ ليبزج مع دراستي الأولى لشوبنهور (١٨٦٥)؛ مما جعلني أنكر بشدة (إرادتي للحياة). أن يصبح الإنسان سيئ التغذية وأن تتلف معدته – هذه المسألة يبدو لي أنه يتم حلها على نحو يدعو للإعجاب بالطبخة السالف ذكرها. (يقال إنه في عام ١٨٦٦ أُدْخلت تغييرات في هذه المسألة) ولكن بالنسبة للطبخ الألماني بصفة عامة – ما لم يثقل هذا على الضمير! الحساء (قبل) الوجبة، لا يزال يرد هذا في كتب الطهي. في مدينة البندقية في القرن السادس عشر يُطبخ اللحم حتى تضيع النكهة، تطبخ الخضراوات مع الدسم والدقيق، تُرقَق الفطائر حتى تصبح في سُمْك الورق! وأضف إلى هذا عادات (القدماء) الوحشية لا مجرد

الألمان القدماء، وسوف تشرعون في فهم أين يقع مصير العقل الألماني – في موضع مضطرب متعلق بالمعدة. إن العقل الألماني عسير الهضم؛ إنه لا يستطيع أن يتمثل شيئًا، ولكن حتى لو كان عقلاً إنجليزيًا والذي هو ضد العقل الإنجليزي وفي الحقيقة عقل فرنسي، فإن الوجبة تبدو أنها (عودة إلى الطبيعة) – أي عودة إلى أكل لحوم البشر – وهذا بغيض بالنسبة لغرائزي، إنه يبدو لي أنه يعطي العقل قدمًا ثقيلاً، قدم امرأة إنجليزية، إن الكحول لا يناسبني؛ إن كأسًا واحدة من النبيذ أو البيرة في اليوم لكافية لتحول الحياة إلى وادٍ من الدموع بالنسبة لي؛ – وفي ميونيخ يعيش من هم على النقيض مني. أعتقد أنني توصلت إلى فهم هذا على نحو عقلاني ولكن متأخرًا. ومع هذا فقد (عشت) هذا كمجرد طفل. فعندما كنت طفلاً اعتقدت أن شرب النبيذ وتدخين التبغ من العادات السيئة بكل بساطة . وربما كان نبيذ نورمبرج مسئولاً في جانب منه عن هذا الحكم الشديد. إن الإيمان بأن النبيذ كان يبهج، كان لا بد أن أؤمن بما هو بالنسبة لي عبث. إن الأمر غريب جدًا، فبينما تحُطّ كميات قليلة من الكحول من قواى النفسية فإن الكميات الكبيرة كانت تجعلني أتصرف أشبه ببحار يرحل من شاطئ؛ حتى وأنا طفل أظهرت شجاعتي في هذا المضمار.

إن تأليف وتدبيج مقال طويل باللاتينية في ليلة واحدة وطموح المحاكاة بقلمي بصرامة وقسوة، هو شيء نموذجي بجانب نثر التدريب بعصارات حارة قوية قليلة – وكان هذا الإجراء عندما كنت طالبًا في مدرسة بفورتا القديمة الوقورة على نحو لا يتلاءم مع فسيولوجيتي؛ حتى لو كان هذا متفقًا مع بفورتا المبجلة. وفيما بعد في منتصف حياتي أصبحت أكثر حسمًا بالنسبة للمشروبات الروحية. إنني خصم للعيش على النبات من خلال تجربتي مثل ريتشارد فاجنر الذي هو ضدي لا يستطيع أن ينصح بمزيد من الطبائع (الروحية) للامتناع عن الكحول كلية. إنَّ الماء يلبى الغرض نفسه. إنني أحب تلك الأماكن من العالم حيث يتوافر مفهوم (الحقيقة) – بالنسبة لي تحرّك الروح عديدًا من الفرص والمناسبات للشرب من الجداول الجارية كما في نيس والتوربن وسيلر حيث يتوافر الماء أينما أستدير.

(في النبيذ حياتي): يبدو لي هنا إنني لا أتفق مع بقية أوجه المياه...هنا مزيد من النصائح المستمدة من أخلاقياتي... إن وجبة ثقيلة يمكن هضمها بسهولة أكبر من وجبة هزيلة. الشرط الأول للهضم الجيد هو أن تكون المعدة فعالة بشكل كلي. ولهذا فإن الإنسان عليه أن يعرف حجم معدته. وللأسباب نفسها

أنصح ضد كل الوجبات المطولة التي أسميها ولائم التضحية والتي تكون في الموائد. ولا شيء بين الوجبات: لا قهوة، القهوة تجعل الإنسان كئيبًا ولا أنصح بالشاي إلا في الصباح وبكميات قليلة، ولكن على أن يكون قويًا. قد يكون ضارًا جدًا ويتعبك طوال اليوم إذا كان خفيفًا. هنا لكل إنسان معياره وغالبًا بين أشد الحدود ضيقًا ودقة. وفي كل جو ضعيف لا أنصح أن تبدءوا اليوم بالشاي: قبل هذا بساعة من المستحسن أن تتناولوا فنجانًا من الكاكاو الثقيل دون خلطة بأي زيوت. وظلوا في مقاعدكم قليلاً قدر الإمكان؛ لا تثقوا بأي فكرة لا تولد في الهواء الطلق، ولا تصاحبوا حركة الجسم الحرة -ولا تثقوا بأي فكرة لا تحتفل فيها عضلاتكم بالعيد. إن حياة قابعة مقيمة – كما قلت لكم من قبل– هي الخطيئة الحقيقية ضد الشبح المقدس.

(٢)

إن مسألة التغذية مرتبطة ارتباطًا شديدًا بالمحلية والمناخ، إن أيًا منّا لا يستطيع أن يعيش في أي مكان، ومن عنده مهام كبرى يؤديها فإنها تتطلب كل طاقته. ليس أمامه في هذه الحالة إلا اختيار محدود للغاية. إن تأثير المناخ على الوظائف الجسمانية، ممارسة تأخيرها أو تسارعها كبير للغاية؛ حتى إن التخبط في

اختيار المحلية والمناخ لا يقتصر على تغريب الإنسان عن واجبه، بل قد يحول بينه وبين نفسه كلية؛ حتى إنه لا يتواجه معها أبدًا. إن القوة الحيوانية لا تسود فيه إطلاقًا إلى درجة أنها تتركه يحصل على حرية مفرطة فيما يمكنه أن يقوله لنفسه: أنا وحدي أستطيع أن أفعل هذا... إن أوهى بلادة للمصائر إذا ما أصبحت عادة كافٍ ليحول العبقرية إلى شيء متوسط، شيء ألماني؛ إن مناخ ألمانيا وحده أكثر من كافٍ لإحباط همة أقوى المصائر وأكثرها بطولة. وعلى إيقاع وظائف الجسم يتوقف بشكل لصيق تسارع أو تباطؤ قوة الروح؛ وفي الحقيقة إن الروح نفسها ليست سوى شكل من أشكال هذه الوظائف الجسمانية. عددوا الأماكن التي كان فيها أصحاب العقول الكبيرة ولا يزالون يوجدون بها؛ حيث اللماحية والرهافة والليونة، وهي جزء من السعادة حيث العبقرية تكاد تكون بالضرورة في مستواها كلها لها جو جاف على نحو غير طبيعي.باريس، برفنس، فلورنسا، القدس، أثينا – هذه الأسماء تبرهن على ما أقول، تلك العبقرية تتوقف على الهواء الجاف والسماوات الواضحة – بقول آخر، تتوقف على وظائف عضوية سريعة، على إمكانية الضمان المستمر لذات الإنسان بحيث تكون عظيمة وذات كمية هائلة من الطاقة، إن لديَّ حالة في عقلي حيث يكون الإنسان المهم ذو العقلية المستقلة

إخصائيًا ضيق الأفق ومهووسًا؛ لأنه ليس لديه أي شعور بالمناخ. أنا نفسي كان يمكنني أن أصل إلى نفس النهاية لولا أن المرض أرغمني على التعقل والتأمل في العقل على نحو واقعي.

إن الممارسة الطويلة قد علمتني أن اقرأ آثار المناخ والتأثيرات الجوية من الملاحظة الذاتية كما لو كان لديَّ جهاز دقيق يُعوَّل عليه، حتى إنني أستطيع أن أحصي التغير في درجة الرطوبة الجوية عن طريق هذه الملاحظة الذاتية الفسيولوجية، حتى في مثل هذه الرحلة القصيرة كما لو كنت من التورين إلى ميلانو؛ وبالتالي أرتعب من الحقيقة المزيفة. إن حياتي كلها حتى السنوات العشر الأخيرة - أخطر السنوات - قد ضاعت في الأماكن الخطأ، أماكن كان يجب أن تكون محرمّة عليَّ: نورمبرج، بفورتا، تورنجيا بصفة عامة، ليبزج، بازل، البندقية، أماكن خطرة عديدة لتكويني لو لم تكن لي ذاكرة مفردة سعيدة عن طفولتي وشبابي، لكان من السخف تقدير هذا بما يُسمى الدواعي (الخلقية): وعلى سبيل المثال النقص الشديد من الرفاهية الكافية؛ فهذا النقص ماثل اليوم كما لو كان الأمر من قبل وهذا لم يمنعني من أن أكون سعيدًا وشجاعًا. لكن الجهل بالفسيولوجيا - هذه (المثالية) اللعينة - هي اللعبة الكبرى في حياتي، العنصر الزائد

والغبي فيها؛ منها لا يتطور أي «شيء طيب»، ولهذا لا يمكن أن يوجد أي استقرار وأي تعويض، ونتيجة هذه المثالية تأتي كل الاضطرابات، الانحرافات الكبرى للغريزة (والتخصصات المتواضعة) التي حرفتني عن مهمة حياتي؛ وعلى سبيل المثال لما كنت قد أصبحت فقيهًا لغويًا - فلماذا لم يوجد طبيب أو أي إنسان يفتح عيني وينبهني؟ إبان إقامتي في بازل كان الروتين العقلي الكلي - بما في ذلك برنامجي اليومي - إساءة استعمال لا معنى لها للقوى الفريدة دون أي نوع من التعويض عن القوة التي بذلتها، دون حتى فكرة استنفادها ومشكلة إحلال شيء كلها تنقصني هذه الإنية الدقيقة، الحماية التي تعطيها غريزة آمرة؛ إنني أعد كل الناس متساوين، لقد كنت (غير مهتم)، لقد نسيت مسافتي عن الآخرين - بالاختصار، لقد كنت في وضع لا أستطيع معه أن أغفر لنفسي إطلاقًا أي سبب، وعندما كدت أصل إلى النهاية لأنني كدت أن أصل إليها بدأت التأمل في العبثية الرئيسية لحياتي (المثالية). لقد كان المرض هو الذي نقلني إلى الفعل.

(٣)

اختيار التغذية؛ اختيار المناخ والمكان؛ والشيء الثالث الذي

لا يجب أن نخطئ بشأنه على أي نحو من الأنحاء يتعلق بمنهج (الاسترداد) أو (التجديد).هنا مرة أخرى - إلى المدى الذي يكون الروح فيه نسيج وحده فإنّ حدود المسموح به أي المفيد بالنسبة للإنسان يزداد ضيقًا. وفي حالتي تُعد (القراءة) بصفة عامة إحدى طرقي للاستعادة أو التجديد، وبالتالي إنها جزء من ذلك الذي يمكنني من الهرب من نفسي والتجوّل في العلوم الغريبة - وبالنسبة لهذا لم أعد أبدي اهتمامًا. في الحقيقة، إن القراءة تسمح لي بالشفاء من اهتمامي (أنا).

عندما أنهمك في العالم لا يُشاهد أي كتاب بالقرب منّي؛ إنني حريص على ألا أسمح لأي إنسان أن يتحدث أو حتى يفكر في حضوري. وإلى هذا المستوى ترقى القراءة. هل حدث لأي إنسان أن يلاحظ خلال ذلك التوتر العميق الذي تدين فيه حالة الحمل الفكري العقل، وأن الجهاز العضوي الكلي، وكل شيء عرضي، وكل نوع من أنواع البواعث الخارجية، إنما تعمل بقوة وتنفذ عميقًا أيضًا؟ يجب على الإنسان أن يتجنب ما هو عرضي وما هو باعث خارجي بقدر الإمكان: إنَّ نوعًا من التمرس هو من أوائل الحذر المسبق الغريزي للحمل الروحي. هل أسمح لفكرة غريبة أن تتسلق سرًا على الجدار؟ فهذا هو بالضبط ما تعنيه القراءة...

إن فترات العمل والإنتاجية تتبعها فترات الاسترداد أو التجدد: بالنسبة لي الكتب الذكية الثقافية الرائعة! هل يكون كتابًا ألمانيًا؟... يجب أن أرتد ستة أشهر حتى أرى نفسي مرة أخرى في يدي كتاب. ماذا كان؟ دراسة رائعة كتبها فيكتور بروشار وهي (الشكاك اليونانيون) وكان تقدمي لمسابقة في السابق عونًا على القراءة. الشكاك! - الأنماط (المبجلة) الوحيدة وسط الوجوه المزدوجة، أي الجنس ذو الوجوه الخمسة؛ الفلاسفة!... وإلا ألجأ دائمًا إلى الكتب نفسها، قليلة العدد، الكتب الملائمة بالضبط لاحتياجاتي. ربما ليس من طبيعتي أن أقرأ كثيرًا أو بتنوع: إن المكتبة تجعلني مريضًا، كما أنه ليس من طبيعتي أن أحب كثيرًا أو أنواعًا عديدة من الأشياء. إن الشك بل حتى العداء تجاه الكتب الجديدة أقرب لغريزتي من (التسامح) و(القلب الكبير) والأشكال الأخرى (لحب الجار)... وإنني أعود كثيرًا ومرارًا إلى عدد قليل من المؤلفين الفرنسيين.

إنني لا أؤمن إلا بالثقافة الفرنسية وإنني أعتبر كل ما عداها في أوروبا مما يُسمى (ثقافة) سوء فهم خاص. من الصعب أن نتحدث عن تنوع الثقافة الأعلى التي عددتها في ألمانيا كلها فرنسية في أصلها، وفوق كل شيء السيدة كوزيما فاجنر التي تتمتع إلى

حد كبير بحكم ممتاز في مسائل الذوق التي سمعت عنها. وحتى لو لم أقرأ فإنني بشكل حرفي أحب الفيلسوف باسكال باعتباره أكبر تضحية تعليمية للمسيحية، وهو يقتل نفسه ببطء أولاً جسمانيًا ثم عقليًا وفق هذا الشكل المرعب للقسوة اللاإنسانية؛ حتى لو كان في نفسي شيء من فكر مونتيني – من يدري؟ – وربما في حسي أيضًا؛ حتى لو كان ذوق الفنان فيَّ يسعى إلى حماية أسماء موليير وكورني وراسين وليس بدون مرارة ضد عبقرية مخيفة مثل شكسبير، كل هذا لم يَحُلْ بيني وبين اعتبار الفرنسيين المحدثين رفاقًا ساحرين أيضًا. لا أستطيع أن أتخيل أي قرن في التاريخ فيه شبكة من السيكولوجين الباحثن والبارعين في الوقت نفسه يمكن أن يتجمعوا معًا اليوم إلا في باريس. وسوف أورد أسماء قليلة كيفما اتفق فعددهم ليس قليلاً بأي حال من الأحوال –بول بورجيه، بيير لوتي، جِب، ميلاك، أناتول فرانس، جول لوميتر، أو الإشارة إلى واحد من جنس قوي لاتيني الأصل أنا مغرم به بصفة خاصة وهو جي دي موباسان، وفيما بيننا أفضل هذا الجيل حتى في الأعلام العظام فيه وكلهم فسدوا من جرّاء الفلسفة الألمانية (هيبوليت تين – على سبيل المثال – أفسده هيجل، ويجب ألا نشكره؛ لأنه أساء فهمه لرجال عظام ولعصور عظام) وحيثما تتسلل ألمانيا فإنها تفسد الثقافة. إنّ الحرب هي

أول شيء (تحرر) روح فرنسا. وستندال من أسعد المصادفات في حياتي - فكل شيء مهم يحدث في حياتي يتم بالمصادفة- لا بالتوصية - وستندال لا يُقدَّر وله عين السيكولوجي التي تتوقع الأشياء. ولديه قدرة على التقاط الحوادث وهو أعظم سادة الوقائع. وأخيرًا وليس آخرًا كملحد مخلص وهو عينة نادرة وصعب اكتشافها في فرنسا - وكل التبجيل لبروسبر ميريميه!.. وربما أحسد حتى ستندال! لقد سُرقت مني أجمل نكتة إلحادية،ويمكن أن أقول بها فضلاً عن كل الشعوب.

(٤)

لقد كان الشاعر الألماني هينريخ هايني هو الذي أعطاني أسمي تصور للشاعر الغنائي، لقد نقبت عبثًا خلال ممالك كل العصور بحثًا عن أي إنسان يساويه في موسيقاه الحلوة والعاطفية. إنه يتمتع بذلك الضعف الإلهي الذي بدونه لا أستطيع أن أتصور الكمال، إنني أقدر الناس والأجناس وفق الضرورة التي عليهم أن يتصوروا بها إلهًا يشارك في طبيعة أساطير إله الغابات. ويالها من براعة وأستاذية يتناول بهما الألمانية! في يوم ما سوف يعلن الناس أن هايني وشخصي هما أعظم الفنانين جميعًا في اللغة الألمانية: وإننا نجرد ونعرّي بشكل لا يُباري كل ما يستطيع الألمان

الخُلَّص أن يفعلوه بهذه اللغة. ولا بد أنني مرتبط ارتباطًا عميقًا بقصيدة «مانفريد» للشاعر الإنجليزي بايرون: لقد اكتشفت كل هوة وهاوية عنده في نفسي – في سن الثالثة عشرة كنت من النضج بحيث أستوعب هذا الكتاب.

إن الكلمات تخونني، إن كل ما لديَّ هو ظل احتقار لأولئك الذين يجرؤون على ذكر (فاوست) لجوته إذا ما ذكرت قصيدة (مانفريد). إن الألمان يفاخرون عن تصور للعظمة – انظروا الموسيقى الألماني شومان! لقد انتابني الغضب إزاء تخمة السكون فألفت ذات يوم افتتاحية مضادة لمانفريد والتي أعلن هانزفون بولو أنه لم ير لها مثيلاً من قبل على الورق. إنها إنهاك ليوتوربي إلهة الموسيقى والشعر. وبحثًا عن أقصى صياغة لي لشكسبير لم أجد إلا هذا: لقد تصور نمط قيصر. مثل هذه الأشياء لا يستطيع الإنسان أن يخمنها – فإما الشيء أو لا. إن الشاعر الكبير لا يستمد إلا من تجربته –لدرجة أنه فيما بعد لا يستطيع أن يتحمل عمله... وبعد أن تأملت في كتابي (هكذا تكلم زرادشت) أخذت أخطو في غرفتي جيئة وذهابًا لمدة نصف ساعة، غير قادر على أن أتحكم في نوبة بكاء لا يمكن تحملها. إنني لا أعرف قارئًا له أكبر من شكسبير: فلماذا عانى حتى يكون في حاجة

إلى أن يلعب دور المهرج! هل مسرحية (هاملت) مفهومة؟ دون شك ولكنها من المؤكد أن تفضي بالإنسان إلى الجنون... ولكن حتى يشعر الإنسان بهذا يجب أن يكون عميقًا موغلاً فيلسوفًا. إننا جميعًا نخاف الحقيقة. وحتى أدلي باعتراف: أشعر بأنني متأكد بشكل غريزي أن لورد بايرون هو الأصل، المعذب الذاتي لهذا الأدب الأكثر رعبًا: لماذا أعبأ بالأغبياء الأمريكيين وأشباه اللماحين؟ غير أن قوة أعظم واقعية في الرؤية ليست هي المناقضة فحسب لأعظم واقعية في الأفعال والمناقضة لما هو وحشي وما هو جريمة -(وهي تفترض الجريمة) ... إننا لا نكاد نعرف لورد بايرون - أول واقعي بالمعنى الفني الرائع للكلمة - من المؤكد بالنسبة لكل شيء فعله وكل شيء أراده وكل شيء عاشه في نفسه... فليذهب كل النقاد إلى الشيطان! فلنفرض أنني أضفيت طابعًا مسيحيًا على (بطلي زرادشت) باسم ليس من عندي، اسم ريتشارد فاجنر مثلاً - إن بصيرة ألفَيْ سنة لا تكفي لتخمين أن مؤلف كتاب (إنساني، إنساني جدًا) هو المتنبئ (بزرادشت).

(٥)

إنني وأنا أتحدث عن تجديدات حياتي عليَّ أن أقول كلمة أو كلمتين عن عرفاني لإنسان قد زودني بأعظم انتعاش وأكثره ودًا

قلبيًا – هذه هي – دون شك – علاقتي الصميمية مع ريتشارد فاجنر، إن علاقاتي بالآخرين مرت بخفة؛ ولكن دون ثمن كانت حياتي كلها حرمانًا في تلك الأيام في تريبشن – أيام الثقة والاحتفاء والومضات الجليلة واللحظات العميقة. أنا أعرف ماذا يعني فاجنر بالنسبة للآخرين؛ ولكن ما من سحابة قد ألقت ظلها على سمائنا (نحن الاثنين) وهذا يُرجعني مرة أخرى إلى فرنسا -لم أتشاجر إطلاقًا مع عشاق فاجنر، الذين يفكرون في تكريم فاجنر معتقدين أنه يشبه الآخرين؛ بالنسبة لهؤلاء الناس ليس لديَّ سوى التواءة احتقار من شفتي. بالنسبة لطبيعتي المغتربة إزاء كل ما هو تيوتوني جرماني حتى إنه مجرد وجود ألماني يتعب هضمي، فإن أول لقائي مع فاجنر وأول لحظة في حياتي جاءت عندما تنفست بحرية . لقد استشعرته وأكرمته كأجنبي وكنقيض وكاحتجاج متجسد ضد كل (الفضائل الألمانية)، ونحن الذين عندما كنا أطفالاً كنا نتنفس جو مروج الخمسينيات كنا متشائمين بالضرورة إزاء فكرة (ما هو ألماني)؛ إننا لا نستطيع أن نكون شيئًا آخر سوى أن نكون ثوريين -إننا لا نستطيع أن نعطي ثقتنا لأي حال من الحالات يكون النفاق فيها في القمة. ولا يهم بالنسبة لي ما إذا كانت هذه الأعمال الثقافية ذات ألوان مختلفة اليوم، ولا يهم ما إذا كان المنافق يرتدي الزي القرمزي أو يرتدي زيًا قيصريًا.

حسن جدًا إذن! كان فاجنر أيضًا ثوريًا – لقد هرب من الألمان. ليس لدى الفنان في أوروبا وطن إلا في باريس، هذه الرهافة لكل الحواس الخمس كانت هي حالة فن فاجنر، هذه الحساسية إزاء الاختلافات وإزاء المرض السيكولوجي – هذه الأشياء لا توجد إلا في باريس. ولا نجد في أي موضع آخر هذه العاطفة إزاء مشكلات الشكل، هذه الجدية إزاء (الإخراج) التي هي الجدية الباريسية. إن الألماني طيب بالطبيعة. وفاجنر لم يكن بأي حال من الأحوال طيبًا بالطبيعة. لكن سبق لي أن قلت ما فيه الكفاية عن موضوع الارتباطات مع فاجنر (انظر كتابي: بمعزل عن الخير والشر، الشذرة رقم ٢٩٦) وعن أولئك الذين يرتبط بهم ارتباطًا وثيقًا. إنه واحد من أواخر الرومانسيين الفرنسيين من فرقة الفنانين ذوي الروح السماوية مثل ديلاكروا وبرليوز والذين جوهرهم مرضي ولا يمكنهم الشفاء، إنهم متعصبون خالصون (للتعبير) وفضلاء كلما واصلوا المسير... من كان أول الأذكياء التابعين لفاجنر؟ شارل بودلير، الرجل نفسه الذي كان أول من فهم ديلاكروا – هذا المتفسخ النمطي الذي فيه أدرك جيل كامل من الفنانين أنفسهم؛ وربما كان آخرهم أيضًا. ما هذا الذي لم أغفره لفاجنر إطلاقًا؟ كونه قد استسلم للألمان –لقد أصبح إمبرياليًا ألمانيًا. وحيث ينتشر ما هو ألماني تفسد الثقافة.

إذا ما قدرنا الأشياء جميعًا فإنه ما كان في استطاعتي البقاء شابًا بدون موسيقى فاجنر، وذلك لأنه بدا أنني محكوم عليَّ بمجتمع الألمان، وإذا أراد الإنسان أن يتخلص من شعور الاضطهاد الذي لا يُحتمل فقد يلجأ إلى الحشيش أو المخدرات. حقًا كان عليّ أن ألجأ إلى فاجنر، إن فاجنر هو الترياق المضاد. سم مضاد لكل شيء في جوهره ألماني - إنه سم وأنا لا أنكر هذا، ومنذ اللحظة التي جرى فيها ترتيب عرض (تريستان) للبيانو أصبحت فاجنر، إنني أقذف بأعمال فاجنر السابقة من تحتي فهي مبتذلة جدًا، إنها (ألمانية).. ولكن منذ ذلك اليوم وأنا نفسي لا أزال أتطلع إلى عمل يضاهي (تريستان) في سحره الخطر، هذه الكيفية المخيفة والحلوة مع هذه الأبدية؛ لقد بحثت بين الفنون جميعًا ولكن عبثًا. إن كل روائع ليوناردو دافنشي تفقد سحرها مع أول نغمة في (تريستان). إنها الرائعة الكبرى على الإطلاق، وإن (المغنين العظام) و(الخاتم) ليست سوى استرخاء بالنسبة لهذا العمل، وحتى يصبح أكثر صحة - فإن هذه خطوة للوراء بالنسبة لطبيعة مثل فاجنر. إنني أعتبر أنه من الحظ الحسن الرائع أن عاش فاجنر في الوقت المناسب، وأنه عاش بالضبط وسط الألمان لكي يكون ناضجًا لهذا العمل: وهو يعمل بقوة فضول عالم النفس. إن العالم يجب أن يكون فقيرًا بالنسبة

لمن لم يكن ذا صحة كافية (لشهوانية الجحيم): إن هذا متاح، بل حتمي، فالإنسان يستخدم هنا صيغة صوفية. افترض أنني أكثر من أي إنسان آخر لديَّ المعجزات التي يقدر عليها فاجنر ولديَّ العوالم الخمسين من مراحل الوجد التي لا يستطيع أن يصل إليها إلاَّ مَنْ له أجنحة قوية؛ كما أنني اليوم قوي بما فيه الكفاية لتحويل حتى أخطر الأشياء لصالحي،ومن ثَم أزداد قوة، ولهذا فإنني أعتبر فاجنر أكبر المحسنين في حياتي. إن الرابطة التي تجمع بيننا هي أننا عانينا من كرب أكبر مما يستطيع أن يتحمله معظم الناس في هذا القرن؛ وهذا سوف يربط اسمينا للأبد. فلما كان فاجنر قد أساء الألمان فهمه فكذلك أنا وسوف أبقى هكذا للأبد. أنتم أيها الريفيون الأعزاء محتاجون أولاً إلى قرنين من التنظيم السيكولوجي والفنّي!... لكنكم لا تستطيعون على الإطلاق إرجاع عقارب الساعة.

(٧)

بالنسبة لأكثر قرائي غرابة أحب أن أقول مجرد كلمة عما أريده حقًا من الموسيقى. يجب أن تكون الموسيقى مرحة، ومع هذا عميقة مثل عصر يوم في شهر أكتوبر، يجب أن تكون فريدة وبهيجة ورقيقة مثل امرأة لذيذة وحلوة في الرهافة والرشاقة...

إنني لن أعترف إطلاقًا بأن هناك ألمانيًا (يستطيع) أن يفهم ماهية الموسيقى. إن هؤلاء الموسيقيين، أعظمهم، الذين يسمون ألمانًا كلهم جميعًا أجانب من السلاف أو الكرواتيين أو الإيطاليين أو الهولنديين؛ أو هم مثل هينريخ شوتز وباخ وهاندل، ألمان من جنس قوي، نوع بارد الآن. أنا نفسي لا تزال لديَّ قوة كافية لطرد كل الموسيقى الأخرى إذا ما تُرك شوبان وحده. ولأسباب ثلاثة استثني (سيجفرد إديل) لفاجنر، وربما أيضًا أشياء قليلة للموسيقيّ لِيسْت الذي يفوق كل الموسيقيين الآخرين في نكهته الرائعة في قيادته للأوركسترا؛ وأخيرًا كل شيء يأتي من وراء الألب – (هذا الجانب) من الألب. أنا لا أعرف كيف استغني عن روسيني، وأقل من هذا استغني عن مقابله الجنوني في الموسيقى المايسترو بليترو جاستي من البندقية. وأنا أبحث عن كلمة أخرى للموسيقى أراني أرتد بشكل حتمي إلى البندقية. إنني لا أستطيع أن أعرف كيف أفرق بين الدموع والموسيقى. أنا لا أعرف كيف أفكر في الفرح أو في الجنون بدون أن ينتابني الخوف.

فوق الجسر وقفت ولكن متأخرًا في الظلام الحالك.

ومن أقصى البعيد جاء صوت يغني؛

في قطرات ذهبية تباعًا

فوق الحافة المتألقة

الجندول، الأضواء، الموسيقى

ثملاً، أعيش في البعيد في الظلام.

نفسي آلة مشدودة

تتحرك خفية

تغني أغنية الجندول سرًا

تلمع في السعادة المتألقة

– هل سمعها أي منكم؟

(٨)

في كل هذه الأمور – اختيار الطعام، الموقع، المناخ، التجدد – فإن غريزة الحفاظ على الذات تسود وتعبر عن نفسها بأقل غموض في شكل غريزة الدفاع عن النفس، إن تحديد ما يسمعه الإنسان ويراه وانتزاع الإنسان لنفسه من عدة أشياء – هذه عناية إلهية أولية، البرهان الأول على أن الإنسان ليس شيئًا عارضًا، بل هو ضرورة. إن الكلمة المعتادة لغريزة الدفاع عن النفس هي

(الذوق). من الأمور المحتمة ألا يقتصر الأمر على أن نقول (لا) حيث نقول (نعم)، فبدل أن نقول نعم على (النزاهة) يجب أن نقول (لا) على (نحو نادر بقدر الاستطاعة).

ويجب أن يفصل الإنسان نفسه عن أي شيء يرغمه على تكرار كلمة (لا) مرارًا. والسبب في هذا هو أن كل تبديدات الطاقة الدفاعية مهما تكن بسيطة، تتضمن فقدانات مفرطة هائلة ومطلقة عندما تصبح منتظمة على شكل عادة. إن أكبر تبديداتنا للطاقة مركب من سوء استخدامها المتكرر. إبقاء الإنسان متصلاً والإبقاء على الأشياء على مسافة – ولا تخدعوا أنفسكم في هذه النقطة! – هو تبديد للطاقة وتوجيهها نحو الأعراض السلبية فقط. إن مجرد الضرورة المستمرة أن يظل الإنسان متنبهًا قد يوهن الإنسان الذي لا يعود يدافع عن نفسه.

فلنفرض أنني أعتزم الخروج من منزلي وبدلاً من أن أذهب إلى مدينة التورين الهادئة الأرستقراطية وجدت مدينة ريفية ألمانية، إن غريزتي سوف تتجمع لتقاوم كل شيء يغزوها من هذا العالم الدنيء الجبان. أو فلتفرضوا أنني وجدت حاضرًا أشياء ألمانية – ذلك الجزء من الرذيلة الذي لا ينمو فيه شيء، ولكن حيث يتم استيراد كل شيء سواء كان خيرًا أو شرًا. ألا

أصبح حينئذ قنفذًا؟ ولكن أن يكون لدى الإنسان أشواك القنفذ لأمر يرقى إلى تشتيت الطاقة؛ ولو أننا اخترنا لأمكن أن نستغني عن هذا وتصبح أيدينا فارغة بدلاً من هذا.

(٩)

هنا لا أستطيع أن أتجنب جوابًا مباشرًا عن السؤال (كيف يصبح الإنسان ما هو عليه؟) وهنا أمس اللمسة البارعة لفن الحفاظ على الذات - (الأنانية)... إذا افترضنا أن مهمة حياة الإنسان - تصميم ومصير مهمة حياة الإنسان - تفوق كل تقدير المعيار المتوسط فلن يكون هناك خطر من أن يتواجه الإنسان مع نفسه من جانب هذه المهمة للحياة. إن كون الإنسان أن يصبح ما هو عليه يفترض أنه ليس لديه أدنى شك فيما هو عليه. من وجهة النظر هذه يُعطى معنى وقيمة فريدان حتى لتخبطات حياة الإنسان، الانحرافات والضلالات المؤقتة والترددات وأشكال الجبن والاهتمامات المضاعة على مهمات بعيدة عن المحور. وفي هذه الأمور هناك فرصة للحكمة العظيمة ربما حتى أعلى حكمة؛ ففي هذه الظروف التي يُعطي فيها الإنسان جوازًا هي الحالة الاستثنائية التي أكون فيها ضد عادتي وقناعتي وأقف في صف الميول (اللاأنانية)، فهي هنا مشغولة بخدمة الأنانية والنظام

الذاتي. إن السطح الكلي للوعي - لأن الوعي سطح - يجب أن يظل حرًا من أي الأوامر الكبرى. حذار حتى من كل كلمة بارزة وكل حركة مثيرة فكلها تفضي لإمكانية خطرة؛ حتى إن الغيرة قد (تفهم نفسها) في التو. وفي الوقت نفسه، فإن تنظيم (فكرة) مقدر أن تتم السيطرة عليها يستمر في النمو في الأعماق -وتبدأ هذه الفكرة في تلقي الأوامر وتفضي بكم ثانية ببطء إلى انحرافاتكم وضلالاتكم، فهي تجهز نفسها مستشعرة بشكل لا يمكن الاستغناء عنه لكل مهمتكم - وبالتدريج تزرع كل الملفات الخادمة قبل أن تهمس بكلمة فيما يتعلق بالمهمة السائدة (الهدف)، (الغرض)، (المعنى). ومن هذه الزاوية فإنّ حياتي هي بكل بساطة حياة مدهشة. فمن أجل مهمة متعلقة (بتجاوز تقييم كل القيم) كان من الضروري وجود مزيد من القدرات على نحو ربما أكبر مما يمكن أن نجده مُرَكبًا في الفرد؛ وفوق كل شيء قدرات معارضة يجب ألا تكون معادية ومدمرة، مرتبة عالية بين القدرات، المسافة؛ فن الانفصال بدون خلق العداوة؛ عدم خلط الأشياء؛ وعدم التصالح مع شيء؛ أن تكون مختلفًا بشكل هائل ومع هذا تكون عكس الفوضى - كل هذا هو الشرط الأول السري الطويل وفن غريزتي والعمل.

وتتجلى حراسة هذا الشرط بقوة حتى إنني لم أكن في حاجة في أي وقت ما إلى أي صميمية لما ينمو داخلي - إلى أن نضجت كل قدراتي فجأة، وذات يوم انفجرت مكتملة. أنا لا أستطيع أن أتذكر مثلاً يدل علي ممارستي لنفسي، لا توجد (بيِّنة) على (النضال) في حياتي؛ إنني على عكس الطبيعة البطولية. أن (تريد) شيئًا، أن (تسعى) وراء شيء أن يكون لي (غرض) أو (رغبة) في عقلي - لم أعرف أيًا من هذه الأشياء من الخبرة. وفي هذه اللحظة نفسها تطلعت إلى مستقبلي - مستقبل (عريض) - كما لو كان بحرًا هادئًا: ما مِنْ شوق يقلق هدوءه. ليست لديَّ أدنى رغبة في أنه يجب علي أي شيء أن يكون مختلفًا عما هو: أنا نفسي لا أريد أن أكون مختلفًا. إنني دائمًا على هذا النحو ليست لديَّ إطلاقًا رغبة. إن رجلاً بعد أن وصل إلى الرابعة والأربعين من عمره، يستطيع أن يقول إنه لم يُعَنِّ نفسه بمظاهر التكريم أو النساء أو النقود إلا لأنها تنقصني. بهذه الطريقة - مثلاً - أصبحت ذات يوم أستاذًا جامعيًا.

مثل هذه الفكرة لم تخطر ببالي على الإطلاق، لأنني لم أكن قد بلغت الرابعة والعشرين. وبالطريقة نفسها قبل هذا بعامين - أصبحت ذات يوم فقيهًا من فقهاء اللغة، بمعنى أنَّ أول عمل

لي في فقه اللغة وهو مقالي عن ديوجين لايرتوس وبدايتي بهذه اللطيفة، كان بناء على طلب أستاذي ريتشل لكي ينشره في مجلته التي يصدرها . (أقول بكل تقدير إن ريتشل كان الباحث الوحيد اللطيف الذي عرفته . إنه يمتلك الفساد في الذوق الذي نتميز به نحن أبناء بلدة تورنجيانز والذي يمكن أن يجعل كل ألماني متعاطفًا حتى للوصول إلى الحقيقة التي نفضلها بشتى الطرق. هذه الكلمات لا يجب أن تؤخذ على أنها استنكار بأي معنى لسكني المشترك في بلدة تورنجيانز مع الألماني ليوبولد فون رانكه).

(١٠)

سوف يُطرح السؤال: لماذا؟ يجب بالفعل أن أتذكر كل هذه التفاهات والتفاصيل التي بلا معنى وأحكم عليها وفق المعايير العادية؟ يبدو أنني أضر قضيتي وبصفة خاصة إذا كان مقدرًا عليَّ أن أتّخذ مهامًا كبرى. فأجيب بأنَّ هذه التفاصيل التافهة – الواجبات، الإقامة، المناخ، التجدد، الإفتاء في مسألة حب الذات – هي أكثر أهمية من أي شيء يعتبره الناس جوهريًا. فهنا يجب أن نبدأ أن نتعلم أن نتجدد. إنَّ كل ما قيَّمه الناس بكل تحمُّس ليس حتى حقائق؛ إنه مجرد خيالات، أو بمعنى أكبر (أكاذيب) تنطلق من الغرائز الشريرة للطبائع المرضية والضارة – كل المفاهيم

(الألوهية)، (النفس)، (الفضيلة)، (التجاوز إلى الما وراء)، (الحياة الخالدة). ومع هذا فإن الناس بحثوا فيها عن عظمة الطبيعة الإنسانية.

كل أمور السياسة والنظام الاجتماعي والتربية قد زُيفت من قمة الرأس إلى أخمص القدم؛ لأن أكثر الناس ضررًا هم الذين نُظر إليهم على أنهم أعظم الناس، ولأن الناس قد تعلموا أن يحتقروا (التفاصيل) التي هي أساسيات الحياة. فإذا قارنت نفسي الآن بتلك المخلوقات التي جرى تكريمها على أنها الأولى بين الناس فإن الاختلاف يصبح جليًا. إنني لا أعتبر من يُسمون (أوائل) الناس بشرًا - فهم بالنسبة لي قاذورات البشرية، هم نتاج المرض وغريزة الانتقام: إنهم وحوش عديمة عفنة لا يمكن شفاؤها وهي تنتقم من نفسها فيما يتعلق بالحياة... إنني أحب أن أكون عكسها. إنَّ ميزتي هي أنني حساس جدًا إزاء أي علامة على الغرائز الصحيحة. ليس في أي ملمح مرضي؛ حتى في أشد أوقات مرضي الخطير لم أصبح مريضًا أبدًا؛ عبثًا تبحثون عن تعصب في طبيعتي؛ لا يستطيع مخلوق أن يشير إلى لحظة واحدة في حياتي أتخذ فيها موقفًا متكبرًا أو مرضيًا. المواقف المرضية لا تمتُّ إلى العظمة: إن من يحتاج إلى المواقف مزيف...

حذار من كل من هو مجرد صورة؛ لقد جاءتني الحياة بأشد سهولة عندما اقتضت مني أعظم عمل فني. إن من قُدر له أن يراني في السبعينيات خلال هذا الخريف عندما قُمتْ -دون توقف وبشعور بالمسئولية تجاه الأجيال - بكثير من العمل من أرقى طراز - عمل لم يقم به إنسان من قبلي أو سوف يقوم به من بعدي - لابد أنه لم يلاحظ أي علامات على التوتر فيه، بل بالعكس : تجدد ومرح شديدان. ولم يحدث إطلاقًا من قبل أن أصبحت واجباتي مستساغة أكثر، وكذلك لم يحدث إطلاقًا من قبل أن أصبح نومي أفضل. وأنا لا أعرف طريقة لتناول المهمات الكبرى خيرًا من (اللعب): فعلامة على العظمة فإن اللعب مطلب جوهري. إن أوهن قيد والمظهر الكئيب والنغمة الصعبة في الصوت - كل هذه الأشياء هي اعتراضات على إنسان، ولكن كم هي مقيدة لعمله!... يجب على الإنسان ألا تكون له أعصاب. حتى (المعاناة) من الوحدة هي اعتراض - إن الشيء الوحيد الذي كنت أعاني منه دائمًا هو (التكثر)، التنوع اللامتناهي لنفسي. في السن الرقيقة وأنا في السابعة من عمري كنت أعرف من قبل أنه ما من حديث إنساني يمكن أن يصل إليَّ. فهل رأي مخلوق فيَّ أني مغتم لهذا؟ اليوم لا أزال أملك الود نفسه تجاه كل إنسان، بل إنني حتى ممتلئ بالحفاوة بشكل متواضع . في كل هذا

لا توجد نأمة من الاشمئزاز أو الاحتقار. إن من أحتقره يؤلمه كوني أحتقره؛ إن مجرد وجودي يُغضب أولئك الذين لهم دم فاسد في عروقهم. إن صيغتي عن العظمة في الإنسان هي واقعة الحب المميت: على الإنسان ألا يرغب في شيء يتغير سواء في المستقبل أو في الماضي أو للأبد. لا بد فحسب أن يتحمل الضرورة – لكنه يجب أن (يحبها)...

لماذا أكتب مثل هذه الكتب الرائعة؟

(١)

إنني شيء وكتاباتي شيء آخر. هنا وقبل أن أتحدث عن الكتب نفسها سوف أعرض لمسألة الفهم وسوء الفهم اللذين استُقبلتْ بها الكتب. وسوف أفعل هذا، ولكن ليس بتطويل تقتضيه الضرورة. فالوقت لم يحن بعد لمثل هذه المسألة. كما أنَّ وقتي بالمثل لم يحن بعد هو الآخر، إن بعض الناس يولدون بعد وفاة والديهم. وفي بعض الأحيان لا يكون هناك استشعار بحاجة إلى مؤسسات ليعيش فيها الناس ويتعلموا على نحو ما أفهم العيش والدراسة، وربما يشهد ذلك اليوم موهبة التخصص لتفسير كتابي «هذا تكلم زرادشت»، ولكن سيكون متناقضًا مع نفسي أن أتوقع أي ترحيب بحقيقتي اليوم، فاليوم لا أحد ينصت لي، ولا يعرف كيف يتلقى ما أعرضه، وهذه المسألة ليست مفهومة فقط، بل هي حق أيضًا.

ولا أريد أن أفهم على نحو خاطئ، ولهذا لا يجب أن أخطئ في فهم نفسي. دعوني أقل مرة أخرى إنني أستطيع أن أشير بأمثلة

قليلة إلى إرادة سيئة في حياتي. وبالنسبة للإرادة السيئة الأدبية أستطيع أن أذكر مثلاً واحدًا يدل عليها، ومن جهة أخرى لقد التقيت كثيرًا «بغباء» شديد كثيرًا. ويبدو لي أن التقاط واحد من كتبي لهو من أحسن المزايا التي يمكن للإنسان أن يسبغها على نفسه، حتى لو اقتضى الأمر أن يحرّك قدمه مسبقًا إن لم نقل يحرك حذاءه. في إحدى المناسبات عندما اشتكى د. هنريخ فون شتين بصراحة أنه لم يفهم شيئًا من كتابي «هكذا تكلم زرادشت» قلت له: هذا هو بالضبط ما يجب أن يكون. أن يفهم الإنسان ست جمل فحسب من ذلك الكتاب – أي أن يعيشها – يرفعه إلى مكان بين الخالدين أعلى مما يستطيع الإنسان «الحديث» أن يناله، فبغير هذا الشعور بالتنائي كيف يمكن حتى أن يقرأني «المحدثون» الذين أعرفهم؟! إن انتصاري وزهوي – على العكس تمامًا من انتصار شوبنهور وزهوه – إنني أقول ليست المسألة أنني أحب أن أقلّل من شأن الفكاهة التي استمدها كثيرًا من البراءة التي بها تتناقض مع كتبي.

ومؤخرًا، في الصيف الماضي عندما كنت أحاول من جراء ما أشعر به من أدب ثقيل، ثقيل للغاية أن أُفْقِد فقيه الأدب توازنه. وقد أفهمني أحد أساتذة جامعة برلين برفق أنني يجب أن ألجأ

إلى شكل مختلف، فما من أحد يستطيع أن يقرأ ذلك النوع من الأدب.

وأخيرًا! لم تكن ألمانيا -بل سويسرا- هي التي قدمت لي حالتين متطرفتين. كان هناك مقال كتبه د. ف. فيدمان عن كتابي «بمعزل عن الخير والشر» نشرته مجلة «بوند» بعنوان «كتاب نيتشه الخطر» مع عرض عام لكل كتبي بقلم السيد كارل سبيتلر في مجلة «بوند» أيضًا، وهذه نقاط رائعة في مجرى حياتي. ولا أحدد المحتوى.

فمثلاً عالج السيد سبيتلر كتابي «هكذا تكلم زرادشت» على أنه «تمارين متقدمة في الأسلوب» وأعرب عن أمله أنني فيما بعد عليَّ أن أحفل بالمحتوى أيضًا، وأعرب د. فيدمان عن التقدير الذي شعر به للشجاعة التي أبديتها في كل جهودي لكي أثير كل المشاعر الرقيقة. وبفضل حيلة بسيطة من القدر فإن كل جملة في هذين النقدين تبدو - بتناسق لا أملك إزاءه إلا الإعجاب - على أنها حقيقة مقلوبة.

في الحقيقة يبدو أن كل ما على الإنسان أن يفعله هو «تجاوز القيم» وبشكل ملحوظ، فإن الإنسان يدق المسمار على الرأس بالنسبة لي بدل أن يطرق رأسي بالمسمار. ولهذا فإنني شغوف

بأن أصل إلى تفسير. فوق كل شيء فإن الإنسان لا يستطيع أن يستخلص من الأشياء – بما في ذلك الكتب – أكثر مما يعرف مسبقًا أن الإنسان لا تكون له أذنان إلا بالنسبة للأشياء التي تعطيه إشارة. فلنأخذ مثلاً صارخًا. لنفرض أن أحد الكتب لا يتحدث إلا عن التجارب القائمة تمامًا خارج نطاق المعرفة أو حتى الاستثنائية – لنفرض أنه «أول» تعبير عن سلسلة جديدة تمامًا من التجارب. في هذه الحالة فإن ما يحويه لم يسمع به أحد على الإطلاق، وبسبب انخداع صوتي سيفترض الناس أنه إذا لم يكن هناك ما يسمع فلن يوجد شيء يستدعي السماع.

هذه على أي حال هي تجربتي الأولى العادية، وتدل إذا أردتم على أصالتها. وإن من يفكر أنه قد فهم شيئًا في كتابي يكون قد فسّر شيئًا فيه وفق صورته، وليس هذا بالنادر عكس نفسي؛ «مثالي» مثلاً. ومن لم يفهم شيئًا في كتابي ينكر عليَّ أي اعتبار وأي تقدير على الإطلاق. إن كلمة «الإنسان الأعلى» تشير إلى نمط من الناس مظهرهم هو قطعة من أعظم الخطوط الطيبة، نمط معارض للإنسان «الحديث» معارض للإنسان «الطيب» معارض للمسيحيين والعدميين الآخرين – وهي كلمة في فم «زرادشت»، محطة الأخلاقيات تصبح ذات معنى عميق – هذه الكلمة تكاد

تكون مفهومة في كل موضع، وببراءة شديدة على أنها تتطابق مع تلك القيم التي يُعد زرادشت بالنسبة لها تكرارًا سطحيًا - لقد اعتبر أنه نمط «مثالي»، نوع أعلى للإنسان نصف «قديس» ونصف عبقري. لقد عرف الآخرون أن الطبع مما يُشَكُّ فيه باعتباري من أتباع داروين على أساس هذه الكلمة: حتى (عبادة البطل) التي قال بها كارليل ذلك المخادع غير الواعي والذي بلا إرادة - هي عبارة قيل إنني أدعو إليها بسوء - ويقولون إنهم يتبينونها في أعمالي. فإن كنت أليفًا لبعض من يفضل أن يبحث عن الإنسان الأعلى في سيزار بورجيا لا في أوبرا بارسيفال فإنه لا يثق بأذنيه. يجب أن تسامحوني على نقصي الشديد بالنسبة للفضول لنقد كتبي وخاصة النقد الصحفي.

إن أصدقائي وناشريي يعرفون هذا وهم لا يتحدثون لي عن أشياء مثل هذه، وفي حالة واحدة لقد رأيت كل الخطايا التي ارتكبت ضد كتاب واحد وهو كتاب (بمعزل عن الخير والشر)؛ ويمكنني أن أقصّ عليكم حكاية لطيفة عنه. من الممكن لإحدى الصحف البروسية - وهي صحيفة ناشيونال زيتونج - (وأنكرها من أجل القراء الأجانب - من ناحيتي أنا لا أقرأ سوى صحيفة جورنال ديباتس) - هل يجب أن نعد الكتاب -

بمحبّة – على أنه (علامة على العصر) على أنه مثال أصيل عن حزب جنكر والتي ليس لدي صحيفة (كريوز زيتونج) شجاعة كافية إزاءه؟

(٢)

إن هذا ليس حقيقيًا إلاّ بالنسبة للألمان: ففي كل مكان آخر لي قراء – كلهم أصحاب عقول استثنائية، إنهم أصحاب طبائع مرّت بالتجربة – الاختبار، تشغل مناصب عالية وسط الواجبات العليا؛ وإنَّ لي عبقريات حقيقية وسط قرائي في فيينا، في سنت بطرسبرج، في استكهولم، في كوبنهاجن، في باريس، وفي نيويورك – لقد اكتشفوني في كل مكان. إلا في أرض أوروبا المسطحة – ألمانيا... وحتى أقول الحقيقة، إنني أبتهج أكثر من أولئك الذين لم يقرءوني، بل حتى الذين لم يسمعوا اسمي أو لم يسمعوا كلمة الفلسفة.

ولكن أينما أوغل هنا في التوريه مثلاً فإن كل وجه يتألق ويستريح لمرآى. والشيء الذي يطربني أكثر من أي شيء آخر هو أن نساء السوق لا يسترحن حتى يلتقطن أجمل الأعناب من أجلي. إلى هذه الدرجة يجب على الإنسان أن يكون فيلسوفًا... وليس عبثًا أن سكان القطبين يسمون فرنسيي الشعوب السلافية.

وإن سيدة روسية ساحرة لن تخطئ لحظة في معرفة أصلي. إنني غير ناجح في أن أكون مزهوًا، وخير ما أفعله هو أن أبدو متحيِّرًا. إنني أستطيع أن أفكر بالألمانية وأستطيع أن أشعر بالألمانية - أستطيع أن أفعل معظم الأشياء؛ لكن (ذلك) يفوق قواي.

إن أستاذي القديم ريتشل اعتاد حتى أن يلاحظ أنني أتصور أبحاثي اللغوية مثل الروائي الباريسي - أي أنني أجعلها مثيرة على نحو عبثي، وفي باريس نفسها يندهش الناس لرهافتي ورقتي على حد تعبير الناقد هيبوليت تين. إنني أشعر أنه حتى في ذروة أشكال شعر الديثرامب الذي ابتدعه اليونان، ومنه نشأت الدراما سوف يتم تلطيفه بذلك ألملح الذي لن يصبح إطلاقًا مرًا، لا يصبح إطلاقًا (ألمانيًا) - أعني اللطافة. ولا أستطيع أن أفعل شيئًا آخر. فليساعدني الرب! آمين - ونحن جميعًا نعرف - وبعضنا يعرف حتى من التجربة - ما هي (الآذان الكبيرة). وهذا يبهج المرأة كثيرًا - إنه يبدو لي أنهن يفهمنني أفضل. إنني عكس الحمار على نحو رائع؛ وعلى هذا فإنني وحدي وحش في تاريخ العالم - في اليونان، وليس في اليونان وحدها أنا (المسيخ الدجال).

(٣)

أنا أعرف مزاياي تمامًا ككاتب. من خلال مثل أو مثلين

اتّضح لي كيف أن القراءة العادية لأعمالي (تفسد) ذوق الإنسان. الكتب الأخرى بكل بساطة لا يمكن تحملها وأقلها جميعًا كتب الفلسفة وهي ميزة لا تباري عملية الدخول إلى هذا العالم النبيل الدقيق، وحتى يفعل الإنسان هذا عليه بالتأكيد ألا يكون ألمانيا: بالاختصار إنها ميزة يجب أن يستحقها الإنسان. وعلى أي حال، إنَّ مَنْ هو قريب مني في عظمة الإرادة سوف يعيش فرط سرور أصيل في فهم كتبي. إنني أهبط من ذُرّى لم يحلق فوقها أي طائر. لقد قيل لي إن الإنسان بمجرد أن يشرع في قراءة كتبي حتى يستحيل عليه أن يتركها – إنني أقلق حتى راحة الليل. لا توجد كتب أخرى أكثر مدعاة للكبرياء أو أكثر دقة: أحيانًا تكون في كتبي أعلى نقطة ممكنة للبشر ألا وهي السخرية؛ وحتى يستطيع الإنسان أن يسيطر عليها عليه أن تكون له أرق أصابع، وكذلك أجرأ قبضات.

إن أي ضعف روحي مسألة مميتة بالنسبة لي – حتى أي سوء هضم: على الإنسان ألا تكون له أعصاب، ولكن يجب أن تكون له أمعاء رائعة. ولا يقتصر الأمر المميت على فقر نفس الإنسان ومحدوديتها، بل يمتد الأمر أيضًا وبدرجة أكبر إلى الشجاعة وعدم النظافة والنزعة الانتقامية غير الشريفة السرية؛ إن كلمة

واحدة مني كفيلة بقذف كل الغرائز الشريرة في الوجه. ويوجد من بين معارفي عدد من الناس ذوي الخبرة الذين أتاحوا لي الفرصة لرؤية كل ردود الفعل المختلفة تمامًا إزاء كتبي. وإن أولئك الذين ليس لهم شأن بمحتويات كتبي، والذين يسمون أصدقائي هم (غير شخصيين): إنهم يهنئونني على ظهور عمل آخر، وكذلك على التقدم والذي يظهر الاحتفاء الأكبر من نغمتهم ... أرواح شريرة تمامًا، (النفوس الجميلة) المزيفة من قمة الرأس حتى أخمص القدم، وليست لديهم أدنى فكرة كيف يستقبلون كتبي – وبالتالي، ولهم التماسك الجميل للنفوس الجميلة، يحتقرون عملي باعتباره موضوعًا تحت أنظارهم، إن القطيع من بين معارفي الألمان فحسب، يساعدونني على أن أفهم أنهم ليسوا دائمًا من رأيي، وإن كان يحدث أحيانًا... إلخ إلخ.

إنني سمعت هذا النوع من الأشياء يُقال عن كتابي (هكذا تكلم زرادشت). إن (التخنث) في البشر كما في الرجال هو أيضًا حاجز في وجه كتاباتي: به لن يمكن لأي إنسان أن يدخل هذا اللابيرنث للمعرفة التي لا تخاف على الإنسان ألا يضيع نفسه إطلاقًا. يجب أن يكون صارمًا في عاداته لكي يكون حسن الفكاهة ومرحًا بين تلك الحقائق الصعبة والعديدة.

وحتى يمكنني أن أصور القارئ الكامل فإنني دائمًا وحش من الشجاعة والفضول، وكذلك الطواعية والدهاء والحصافة - مولود أنا مغامرًا ومستكشفًا، وفوق كل شيء لا أستطيع أن أجد أفضل من (زرادشت) لأدلّ على من أوجه لهم نفسي أساسًا: لهم وحدهم يريد أن يكشف لهم لغزه:

«إليكم أيها المستكشفون والمجربون الجسورون وإلى كل من يركب في ظل قلوع ماكرة في بحار مرعبة؛ إليكم يا من تدورون في فلك الألغاز والأفول، يا مَنْ نفوسكم ينقلها الفلوت إلى كل هاوية مخيفة: لا تعبؤوا بأن تشقوا طريقكم فوق خيط بأصابع جبانة؛ وحيث تقدرون على أن (تخمنوا) تكرهون أن (تتجادلوا)».

(٤)

أحب الآن أن أُبدي ملاحظات عامة قليلة عن (فن أسلوبي) في توصيل حالة، توصيل توتر داخلي للشجن عن طريق العلامات بما في ذلك إيقاع هذه العلامات - هذا هو فن كل أسلوب، ولما كانت كثرة حالاتي الباطنية هائلة فإنني قادر على عدد كبير من الأساليب - بالاختصار قادر علي الفن الأكثر تنوعًا للأسلوب الذي يُتاح للإنسان وفق إرادته. إن أي أسلوب يكون (جيدًا) إذا ما أوصل حالة باطنية لا تعلو على العلاقات أو على إيقاع

العلامات أو على (الحركات والإيماءات) - إن كل بلاغة هي مجرد فن الحركات والإيماءات. في هذا المضمار فإن غريزتي ناجحة .

إن الأسلوب الجيد على هذا النحو عبث، مجرد مثالية مثل (الجمال في ذاته). وهذا يفترض أن هناك آذانًا تسمع وأن هناك أناسًا قادرين وجديرين بمثل هذا الشجن، وأنه لا يوجد نقص في أولئك الذين يمكن أن يوصل لهم نفسه. وفي الوقت نفسه، فإن (بطلي زرادشت) - مثلاً - لا يزال يبحث عن مثل هؤلاء الناس - يا للأسى! عليه أن يبحث مدة أطول! إن الإنسان جدير بأن يعرفه.

وإلى أن يأتي ذلك الوقت لن يوجد أي إنسان سوف يفهم الفن الذي طرحته في الكتاب. ولا يوجد إنسان لديه مزيد من الأشكال الفنية الإبداعية الأصيلة الجديدة يسعى إلى أن يبددها، ويبقى أن أبرهن على أن مثل هذه الأشياء ممكنة في اللغة الألمانية؛ في السابق أنا نفسي كنت متشككًا على نحو كبير. قبل عصري لم يعرف الناس ماذا يمكن أن يفعلوا باللغة الألمانية - ماذا يمكن أن يفعلوا باللغة أصلاً.

إن فن الإيقاع الكبير أو الأسلوب العظيم في النثر، من أجل

التعبير عن الثنايا الهائلة للعواطف والانفعالات الجليلة والواثقة للطبيعة كنت أنا أول من يكتشف، وقد لجأت إلى نوع من الديثرامب من التأليف الشعري مثل (الأختام السبعة) في الجزء الثالث من (هكذا تكلم زرادشت) حلقت آلاف الأميال فوق كل ما أطلق عليه اسم شعر.

(٥)

إن كون كتبي هي تعبير عن رجل سيكولوجي ليس له نظير ربما يكون أول اكتشاف يقوم به قارئ جيد - أي قارئ أستحقه يقرأني كما اعتاد فقهاء اللغة الأقدمون الجيدون أن يقرءوا هوراس. وإن كل تلك القضايا التي يتفق عليها كل إنسان - ولا أنكر الفلاسفة ورجال الأخلاق التقليديين وغيرهم من أصحاب العقول الجوفاء المملوءة كرنبًا.

وهذه القضايا تلوح لي على أنها مجرد فضائح ساذجة: مثل الإيمان بأن (الغيرية) و(الأنانية) متناقضتان، عندما لا تكون (الأنا) إلا (أرجوحة ناعمة)، (مثالاً)... إن الأفعال ليست أنانية وليست غيرية: كلا المفهومين لغو سيكولوجي. أو القضية القائلة إن (الإنسان يتبع سعادته) أو القضية القائلة: إن (اللذة والألم متضادان)... بل الأخلاقيات - سيرك البشرية - قد زيفت كل

شيء سيكولوجيا من البداية حتى النهاية؛ لقد حطت أخلاقيًا من قيمة كل شيء لدرجة اللغو المخيف عندما جعلت الحب (غيريًا). على الإنسان أن يكون صارمًا، على الإنسان أن يقف بثبات وأمان على ساقيه - وإلا فلن يحب على الإطلاق. وفي الحقيقة تعرف الفتيات هذا جيدًا. إنهن لا يعبأن إطلاقًا بالرجال اللا أنانيين الموضوعيين الخُلَّص. هل لي أن أغامر فأقول بهذه المناسبة إنني عرفت النساء؟ هذا جزء من الميراث الديونيسي.

من يدري؟ ربما أكون أول سيكولوجي عن الأنوثة الخالدة. إنهن جميعًا مثلي. هذه قصة قديمة؛ فيما عدا بالطبع اللواتي أجهضن من بينهن. (المتحررات) العاجزات عن الإنجاب لحسن الحظ، إنني لا أريد أن أدع نفسي تتمزق إربًا. إن المرأة الكاملة تمزقك إربًا عندما تحب. إنني أعرف المجنونات المحبات... يا لهن من مخلوقات خطرة زاحفة!. في الوقت نفسه محبوبات!... إن امرأة صغيرة وقد صممت على الانتقام تستطيع أن تقضي على القدر نفسه.

إن المرأة أكثر سوءًا من الرجل بشكل لا يوصف وهي أمهر منه أيضًا. الخيرية في المرأة هي من قبل علامة على (الانحطاط)، وكل ما تسمونه (النفس الجميلة) أصلها كامن

في بعض الاضطرابات الفسيولوجية. لكنني لن أقول المزيد وإلا لأصبحت ذا طابع طبي. إن الكفاح من أجل الحقوق العادلة هو بالتأكيد علامة على المرض؛ وكل طبيب يعرف هذا. وكلما زادت المرأة أنوثة ناضلت وعضت على النواجذ ضد الحقوق بصفة عامة. النظام الطبيعي للأشياء، الحرب الأبدية بين الجنسين يُعْزى إليها ويجعلها في أعلى مرتبة. هل أنصت الناس لتعريفي للحب؟ إنه الشيء الوحيد الجدير بالفيلسوف. إن طرق الحب هي الحرب؛ أساس الحب الكراهية المميتة بين الجنسين.

هل استمعتم إلى جوابي عن سؤال: كيف يمكن شفاء المرأة، كيف يتم (تحريرها)؟ أعطها طفلا! إن المرأة محتاجة إلى الأطفال والرجل هو دائمًا ليس إلا وسيلة؛ هكذا تكلم زرادشت. (تحرير المرأة) – هذه هي الكراهية الغريزية للنساء المنحطات الصحيحات: المعركة ضد (الرجل) هي دائمًا ليست سوى وسيلة، ادعاء، حركة تكتيكية.

والنساء في جهودهن للارتفاع إلى (المرأة المثالية في ذاتها)، إلى (المرأة السامية)، إلى (المرأة الأنموذج) فإن كل ما يرغبن في أن يفعلنه هو تخفيض المستوى العام للنساء ... وليست هناك وسيلة أكثر تأكيدًا لهذه الغاية عن التعليم الجامعي والسراويل

وحقوق التصويت مثل القطيع. وأساسًا فإن المتحررات هن الفوضويات في عالم مثل (الأنثى الخالدة). السِّفاح اللواتي أشد غرائزهن عمقًا هو الانتقام، نوع كامل من أشد أنواع (المثالية) سوءًا.

وبالمناسبة هو يظهر أيضًا عند الرجال، عند هنريك إبسن الكاتب المسرحي النرويجي مثلاً، هذا النوع - النمط القديم للخدم - موضوعها هو تسميم الضمير التقي، العنصر الطبيعي في الحب الجنسي. وكي لا أترك شكًا بالنسبة لرأيي الذي هو في هذه المسألة صادق وقاسٍ، سوف أقول لكم عبارة أخرى من قانوني الخلقي ضد الرذيلة - بكلمة (الرذيلة) أنا ضد كل نوع من الممارسة غير الطبيعية، وإذا أردتم كلمات أكثر دقة أقول: المثالية. تقول العبارة: (التبشير) بالطهارة هو إثارة شعبية للممارسات غير الطبيعية. إن كل انتقاص للحياة الجنسية وكل تلطيخ لها بمفهوم (غير انتقاء) هو الجريمة الأساسية ضد الحياة -هي الخطيئة الكبرى ضد حياة (الشبح المقدس).

(٦)

من أجل أن تتمكّنوا من استخلاص فكرة ما عن نفسي كسيكولوجي؛ فإنني سوف أستخلص القطعة الفريدة التالية

من التحليل النفسي من كتابي (بمعزل عن الخير والشر). إنني قد أقرر أن أمنع أي تأمل بالنسبة للشخص الموصوف في هذه الفقرة: «إن عبقرية القلب باعتباره القلب الغامض الكبير الذي يمتلكه المرء، الله - المُقَوِّي وصائد الفئران للضمير الذي قد ينحدر صوته في العالم السفلي لكل الناس، الذي لا ينطق بكلمة أو يلقي لمحة والذي قد لا يكون فيه باعث ما أو لمسة عزاء، والذي بالنسبة لكماله يتعلق بأنه يعرف كيف يبدو - لا كما يبدو بل متنكرًا بحيث يتصرف كما لو كان قيدًا إضافيًا على أتباعه؛ لكي يزدادوا قربًا منه، وأن يتبعوه بمودة أشد وبشمولية أكبر؛ - إن عبقرية القلب الذي يفرض الصمت والانتباه على كل شيء عاليًا ومدويًا والذي يناعم النفوس الخشنة والذي يجعلهم يُبْدون اشتياقًا جديدًا - ليكون مرآة حتى يمكن للسماوات العميقة أن تنعكس فيهم؛ - عبقرية القلب الذي يعلم اليد الخشنة والمتسرعة أن تتردد وأن تقبض على الأشياء على نحو أرق؛ الذي يستشف الكنز الخفيّ والمنسي ونقطة الخيرية والروحانية الحلوة تحت الثلج الأسود الكثيف، والذي هو مُحْسِن لكل ذرة ذهب مدفونة منذ أمد طويل والمسجونة في الطين والقلب؛ عبقرية القلب الذي بالاتصال به يصبح كل فرد أكثر غنًى، ليس منفصلاً، أو مندهشًا؛ ليس كما لو كانت قد أفاضت عليه عظمة، وكما لو كان مضغوطًا

بالأشياء الخيِّرة للآخرين؛ بل أكثر غنى في النفس وأكثر جدة عن ذي قبل، محطمًا، مقذوفًا به، وممتلئًا بريح عاصفة أكثر لا يقينيًا، وربما أكثر رقة وأكثر هشاشة وأكثر رهافة، ولكن مليء بالآمال التي مع هذا تنقصها الأسماء، مليء بإرادة جديدة وتيار جديد، مليء بإرادة سيئة جديدة وتيار مضاد».

«مولد التراجيديا»

(١)

لكي أكون عادلاً بالنسبة لكتاب «مولد التراجيديا» (١٨٧٢) يجب نسيان أشياء معينة. إن أخطاء الكتاب الشديدة كان لها تأثير أكيد وكبير، ويرجع هذا إلى السحر الذي يحتويه. وأنا أقصد بهذه الأخطاء معالجتي لمسألة الفاجنرية كما لو كانت هذه الفاجنرية عرضًا مرضيًا لنزعة متصادمة. ولهذا السبب وحده فإنها كانت حادثة في حياة فاجنر: من ذلك الوقت وصاعدًا ارتبطت أعظم الأعمال باسمه. لقد ارتبطت المسألة بأوبرا (بارسيفال) والناس يذكرونني حتى الآن بأن المسئولية هي أساسًا مسئوليتي، فالرأي السائد هو أن هذه الحركة ذات قيمة كبرى للثقافة، بل لقد وجدت أن الناس قد أخذوا عنوان الكتاب على أنه (إعادة مولد التراجيديا من روح الموسيقى): إنهم لم يكونوا يبحثون إلاّ عن صيغة جديدة لفن فاجنر وأهدافه – ومن ثمّ فإنّ الأهمية الأساسية الخفية للكتاب لم ينتبه إليها أحد، وقد غضّ الناس الطرف عنها. (الهيللينية والتشاؤم) قد يكون عنوانًا

أقل غموضًا. إنه كان سيوحى بأن الكتاب يحتوى على المحاولة الأولى لبيان كيف أن اليونانيين قد نجحوا في تجاوز التشاؤم – كيف تغلبوا على التشاؤم ... إن التراجيديا هي البرهان الحق الدال على أن اليونانيين لم يكونوا متشائمين. ولقد أخطأ شوبنهور هنا كما هو مخطئ في كل شيء آخر. فإن نظرنا إلى المسألة نظرة جزئية فإن كتاب (مولد التراجيديا) جاء في وقت غير ملائم بالمرة. لم يكن أحد يحلم به على الإطلاق بأنّه قد بدأ وسط عاصفة معركة فورت. لقد فكرت في هذه المشكلات في ليالي سبتمبر الباردة تحت أسوار متز وأنا أعمل كممرض في الجيش الذي جُندت فيه؛ وقد يعتقد الواحد منكم بأنه قد كُتب قبل هذا بخمسين عامًا.

إنه كتاب لا يعبأ بالسياسة، وقد يقولون اليوم إنه (غير ألماني) وفيه رائحة قوية من هيجل؛ ولا توجد سوى صيغ قليلة مشبعة بنكهة مريرة من الجيف التي يتفرد بها شوبنهور – فكرة التعارض بين مفهومَي الديونيسي والأبوللوني – قد ترجمت إلى ميتافيزيقا؛ والتاريخ نفسه قد جرى تناوله على أنه تطور لهذه الفكرة؛ وفي التراجيديا هذا التعارض ينصهر في وحدة أرقى؛ ومن هذا المنظور فإن الأشياء التي لم يسبق

إطلاقًا عرضها تتواجه فجأة، والنتيجة أن كُلاً منها يستضيء ويوضح الأشياء الأخرى (الأوبرا والثورة على سبيل المثال)... الشيئان الجديدان المميزان في الكتاب، هما: أولاً استيعاب الظاهرة الديونيسية بين اليونان - لأول مرة فإنها تقدم تحليلاً سيكولوجيًا لهذه الظاهرة، وقد نُظر إليها على أنها أساس منفرد لكل الفن اليوناني. والفكرة الجديدة الثانية تكمن في النفاذ إلى السقراطية - فقد جرى إدراك سقراط لأول مرة على أنه أداة الانهيار اليوناني باعتباره نمط التفسخ والانحلال.

(العقل) ضد الغريزة. العقل بأي حال على أنه قوة خطرة مقوّضة للحياة، والكتاب كله مَصُوغ بصمت عدائي عميق فيما يتعلق بالمسيحية. إن المسيحية ليست أبوللونية أو ديونيسية، فهي تنكل بكل القيم الجمالية - وهي القيم الوحيدة المعترف بها في كتاب (مولد التراجيديا) وبأعمق معنى هي عدمية، على حين أننا في الرمز الديونيسي نجد أقصى حدود التأكيد التي جرى التوصل إليها. ولم يحدث إلا مرة واحدة أن الكهنوت المسيحي قد صُوِّر على أنه نوع ضارٍ من الأقزام، على أنهم من سكان تحت الأرض، سكان العالم السفلي.

(٢)

هذا الجُهْد الأول من جانبي كان ملحوظًا بشكل لا مثيل له. فلقد كشفت في أهم تجاربي الصورة الرمزية الوحيدة التي يقدمها التاريخ – ومن ثَمّ فقد كنت أول من استوعب الظاهرة العجيبة لما هي ديونيسي. وفي الوقت نفسه، تبين أن سقراط كان مُنحلاً وبهذا برهنت بشكل لا مثيل له على أن التقاطي السيكولوجي لن يواجه إلا خطرًا ضئيلاً على يد أي نوع من الحساسية الخلقية. إن رؤية الأخلاقيات نفسها كعَرَض من أعراض الانحلال هو شيء جديد. حادث فريد من الطراز الأول في تاريخ الموضة. كم هو رائع مفهومي المزدوج! وقد مكنني هذا من أن أرتفع على اللغو الأجوف عن التفاؤل والتشاؤم! لقد كنت أول من رأى التعارض الجوهري: تحلل الغريزة التي تستدير للحياة مع رغبة دفينة للانتقام (المسيحية، فلسفة شوبنهور، وبمعنى ما من المعاني حتى فلسفة أفلاطون – بالاختصار كل المثالية في أشكالها النمطية) باعتبارها متعارضة مع تأكيد الحياة الأشد تطرفًا والمتولدة من الوفرة –القول بالإيجاب المتحرر من التحفظ، تأكيد للمعاناة نفسها، للخطيئة، لكل ما هو معرض للتساؤل وغريب في الوجود... هذه التلبية الأخير الأكثر فرحًا

وامتلاء وثراء للحياة ليست فحسب ذروة كل بصيرة، بل هي أعمقها، هي أكثر الحقائق التي تَلْقي تأكيدًا ودعمًا شديدًا من الحقيقة والعلم. لا يجب أن تهمل شيئًا؛ لا يجب أن نضحي بشيء فهذه العناصر من الوجود التي يرفضها المسيحيون والعدميون الآخرون تتخذ وثبة أعلى في بناء القيم الهرمي عن تلك التي تحبذها غريزة التحلل. وحتى يمكن فهم هذا فإنّ الأمر يقتضي شجاعة وبدؤها الأساسي هو التدفق العظيم للمقدرة. فالإنسان لا يستطيع أن يقترب من الحقيقة إلاّ بمقدار ما تسمح به شجاعته ومقدرته أن تسمح له به. إن المعرفة وتأكيد الحقيقة ضروريان للرجل القوي، بمثل ما أن الجبن والتقهقر عن الحقيقة (المثالِ) هما ضروريان للضعفاء الذين يستهدفون الضعف... والضعفاء غير أحرار في (المعرفة)؛ إن التحلل ينبني على الأكاذيب؛ وهذا نهج من مناهجهم للحفاظ على الذات. إن مَنْ لا يعرف فحسب كلمة ديونيسي، بل يفهم (نفسه) في إطارها أيضًا لا يكون في حاجة إلى تفنيد لأفلاطون أو المسيحية أو شوبنهور - ذلك أن أنفه تشم (التفكك).

(٣)

في كتابي (أفول الأوثان) بحثت على نحو نهائي كيف أن

هذه المذاهب مكّنتني من اكتشاف فكرة (التراجيديا) والإدراك الاستنتاجي لسيكولوجية التراجيديا... «تلبية الحياة حتى بالنسبة لأغرب مشكلاتها وأكثرها صعوبة: إرادة الحياة والابتهاج بما لا يستنفد فيها في التضحية بأعلى أنماطها» – هذا هو ما أسميه الديونيسي، هذا هو ما أقصده على أنه جسر موصل إلى سيكولوجية الشاعر التراجيدي. «ليس تخفف الإنسان من الخوف والشفقة وليس تطهير النفس من العاطفة الخطرة بتحرر شديد (هذا هو فهم أرسطو الخاطئ للتطهير)».

بل بالأولى ما وراء الشفقة والخوف أن يكون الفرح الدائم للصيرورة نفسها. هذا الفرح الذي يتضمن أيضًا الفرح بالتدمير»... بهذا المعنى لي الحق أن أعتبر نفسي أول فيلسوف تراجيدي– أي المضاد الشديد المخالف للفيلسوف المتشائم. قبلي لم يكن هناك مثل هذا التحول للظاهرة الديونيسية إلى وشائج فلسفية: كان هناك نقص في الحكمة التراجيدية: لقد بحثت عبثًا عن علامات عنها حتى بين الفلاسفة اليونانيين العظام – أولئك الذين يمتون إلى قرنين قبل سقراط. وليس لديَّ شك بشأن هيرقليطس الذي أشعر في حضرته بصفة عامة بأنني أكثر دفئًا وأشعر معه براحة أكبر عن أي إنسان آخر.

تلبية التدفق وتدمير كل الأشياء هما العنصران الحاسمان في أي فلسفة ديونيسية، تلبية التناقض والنزاع وفكرة الصيرورة مع النبذ الجذري حتى لمفهوم (الوجود) - هذه الأشياء تضطرني إلى الاعتراف بذلك الذي كانت لديه أكثر الوشائج مع تفكيري. إن عقيدة (العود الأبدي) - إلى التكرار المطلق والأبدي الدائري لكل الأشياء - هذه العقيدة الخاصة بزرادشت قد علّمها أيضًا هيرقليطس. على الأقل الرواقيون هم الذين استخدموا كل أفكارهم الرئيسية من هيرقليطس ويظهر عندهم أثر من هذا.

(٤)

هناك أمل كبير يتردد في (ميلاد التراجيديا) فوق كل شيء لا يوجد أدنى سبب على الإطلاق يجعلني أنكر الأمل في مستقبل ديونيسي للموسيقى. دعوني أتنبأ بما سيحدث بعد قرن؛ دعوني أفترض نجاحًا لانقضاضي على ألفَيْ سنة من معارضة الطبيعة والحط من شأن الإنسانية. هذا الجانب الجديد من تأكيد الحياة الذي سيأخذ على عاتقه أعظم المهام وهو رفع الإنسانية، وكذلك التدمير التام لكل ما هو منحط وطفيلي سيعيد تهيئة (وفرة هائلة من الحياة) على الأرض، ومنه يجب أن تبزغ الدولة الديونيسية مرة أخرى، إنني أتنبأ بعصر جديد للتراجيديا: أعلى فن لتأكيد

الحياة، التراجيديا ستُعاد دولتها عندما تكون البشرية واعية، ولكن (دون أي شعور بالمعاناة). إن وراءها أصعب الحروب ولكنها أكثر ضراوة ... وقد يضيف عالم النفس أن ما سمعته في الموسيقى الفاجنرية خلال سنواتي المبكرة لا شأن له عمليًا بفاجنر؛ وإنني عندما أصف الموسيقى الديونيسية فإنني بكل بساطة أصف ما سمعته بنفسي - ما أرغمتني عليه غريزتي لترجمته ونقله في إطار مناخ جديد أحمله داخلي. والدليل على ذلك بقدر ما يكون الدليل قويًا هو مقالي (فاجنر في بايرويت). إن فقرة سيكولوجية لها دلالة لا شأن لها إلا بي - لا تترددوا في إحلال اسمي واسم (زرادشت) أينما يرد في النص اسم فاجنر. إن الصورة الشاملة لفنان شعر الديثرامب هي صورة المؤلف الموجود من قبل لكتاب (هكذا تكلم زرادشت) وقد رُسمت بعمق شديد وليس حتى لمس فاجنر الحقيقي. وإن فاجنر ليست لديه دراية بهذا؛ إنه لم يتبين نفسه في المقال - وفي الوقت نفسه، فإن (فكرة بايرويت) قد تحولت إلى شيء لن يكون لغزًا بالنسبة لمن يعرفون كتابي (هكذا تكلم زرادشت) - أي في ذروة النهار العظيم ساعة السَّمْت عندما يركز الصفوة من بين المختارين أنفسهم على أعظم المهام قاطبة. من يمكن أن يقص هذا؟ ربما كانت هذه رؤية بعيدة قد أعيش حتى أراها... إن الشجن

الساري في الصفحات الأولى هي التاريخ الكلي الشامل، والنظرة الواردة في ص(١٠٥) هي النظرة الفعلية لزرادشت، وفاجنر وبايرويت وكل ما له شأن بما هو أماني هو سحابة ينعكس عليها المستقبل. فإذا تكلمت بطريقة سيكولوجية فإنني أقول إن كل السمات المهمة لطبيعتي واردة وهي تمت لفاجنر - عرض معظم القوى النورانية والمصيرية؛ إرادة القوة على نحو لم يملكه أي إنسان والشجاعة الروحية العامرة وقدرة لا متناهية للتعليم دون إقلال مقابل للقدرة على العمل. إن كل شيء في المقال نبوئي؛ البعث الوشيك للروح اليونانية، وضرورة معارضة الإسكندريين الذين يعيدون ربط العقدة المعضلة للثقافة اليونانية بعد أن تم قطعها. إن الإصغاء للنبرة التاريخية - العالمية التي قدمتها على (ص١٠٨) مفهوم (الإحساس بالمأساة): إن المقال لا يحتوي إلا على النبرات التاريخية العالمية، وهذا هو أغرب نوع ممكن من (الموضوعية). إن يقيني المطلق بالنسبة لما أنا (عليه) ينقذف في أي حقيقة عرضية - الحقيقة عن نفسي قد جرى التعبير عنها من عمق مخيف. وعلي صفحتَيْ (١٧٤،١٧٥) فإن أسلوب (زرادشت) قد جرى وصفه وجرى التنبؤ به بيقين حاسم ولا يوجد تعبير دال يمكن أن يوجد سوى الوارد في الصفحات (١٤٤-١٧٤) بالنسبة للواقعة التي يوجد (زرادشت) من أجلها التطهير الهائل والتكريس العظيم للبشرية.

«أفكار في غير أوانها»

(١)

المقالات الأربع التي تشكل كتاب «أفكار في غير أوانها» ذات طابع قتالي في نغمتها، هي تبرهن على أنني لست صاحب أحلام يقظة وأنني أستطيع أن أجد فرحًا في سَحْب السيف، وربما أيضًا أن لي قبضة قوية. إن أول هجوم لي (١٨٧٣) كان موجهًا ضد الثقافة الألمانية، وكان لديَّ حتى في ذيّاك الوقت احتقار شديد لها. لقد كانت بلا معنى، بلا جوهر، بلا هدف، لقد كانت بكل بساطة (رأيًا عامًا) ولا يوجد سوء فهم أقوى من افتراض أن نجاح ألمانيا العسكري العظيم يبرهن على أن كل شيء لصالح الثقافة الألمانية – وانتصار هذه الثقافة على الثقافة الفرنسية. والمسألة الثانية من كتاب (أفكار في غير أوانها) (١٨٧٤) تلقي الضوء على العنصر الخطر المسمم للحياة في مساعينا العلمية: لقد مرضت الحياة من جراء العمل الآلي والآلية المنزوعة من الإنسانية، من جرّاء (عدم وجود شخصية) للعامل، والاقتصاد الزائف (لتقسيم العمل).

والنهاية هي الثقافة وقد فقدت البصر، فهنا يتأتّى النشاط العلمي الحديث كوسيلة لإنتاج الهمجية. وفي هذا البحث، فإن (الحس التاريخي) الذي يفخر به قراؤنا قد جرى الاعتراف به لأول مرة على أنه مرض وكعلامة على التحلل، والمسألتان الثالثة والرابعة من هذه الأفكار هما علامتان تشيران إلى مفهوم أعلى للثقافة وإعادة تأسيس فكرة الثقافة، وهنا صورتان معارضتان لحب الذات والنظام الذاتي، وهما نمطان غير حديثين للاحتقار السائد لكل شيء حولهما - (الإمبراطورية)، (الثقافة)، (المسيحية)؛ (بسمارك) و(النجاح)- لقد كانت هذه الأمور هي: شوبنهور وفاجنر أو بكلمة واحدة، نيتشه...

(٢)

من هذه الهجمات الأربع حققت الهجمة الأولى نجاحًا فريدًا. لقد كانت العاصفة التي أثارتها رائعة، لقد مسّت النقطة المثلومة القابلة للانجراح والطعن لدى أمة منتصرة - لقد قلت إن انتصارها ليس حادثًا في تاريخ الثقافة، بل ربما كان شيئًا مختلفًا تمامًا. وجاءت الإجابة من كل النواحي وليس فحسب بالتأكيد من الأصدقاء القدماء لديفيد شتراوس الذي سخرت منه كنمط للثقافة المحافظة الألمانية الراهنة - بالاختصار باعتباره

مؤلف الكتاب المسمى (الإيمان القديم والجديد). (إن مصطلح الثقافة المحافظة قد دخل إلى لغة ألمانيا بعد ظهور كتابي). ولقد شعر هؤلاء الأصدقاء أن فخرهم المحلي قد أهانه للغاية رأيي الكوميدي بالأحرى لمعارضتهم ذات الجوائز، لطائر فردوسهم. وكانت إجاباتهم واضحة كبيرة على نحو ما قد رغبت. غير أن الإجابات البروسية كانت أكثر مهارة، ففيها المزيد من (الدهر الأزرق البروسي) وكان أوقحها الوارد في صحيفة مدينة ليبزج غير الشهيرة (جرنزبوتن)، ولقد وجدت مشقة في منع أصدقائي الكثيرين في بازل من اتخاذ إجراء ضدها.

ولم يكن هناك إلا نبلاء مسنون قليلون قد آزروني بشكل مطلق لأسباب مضطربة ومختلطة، ومن بينهم إيفالد أوف جوتنجن الذي أوضح أن هجومي كان هجومًا مميتًا لشتراوس، كما كان هناك أيضًا الهيجلي العجوز برونو باور الذي اعتبرته من ذلك الوقت من بين قرائي المتنبهين، وفي آخريات حياته أراد أن ينوِّه بي عندما أراد – على سبيل المثال – أن يعطي السيد فون تريتشيك المؤرخ البروسي إشارة متعلقة بما استطاع أن يجمعه بشأن فكرة (الثقافة) التي فقد فون تريتشيك استبصاره بها.

وجاءت أطول ملاحظة وأشدها مدعاة للتفكير بالنسبة للكتاب

ومؤلفه فيما كتبه التلميذ القديم للفيلسوف فون بادر وهو الأستاذ فورزبرج، ولقد جعلته المقالات يتنبأ لي بمصير عظيم ألا وهو إحداث أرق ما ونقطة تحول حاسمة في مشكلة الإلحاد. لقد تبين في شخصي آخر الشراح البارزين المتطرفين.

لقد كان الإلحاد هو الذي لفت نظري لشوبنهور، وما شد أكبر انتباه وأثار أكبر مرارة هو التقدير الفريد القوي والشجاع لكتابي على يد كارل هيلبراند المتوسط والعادي، وهو آخر الألمان (الإنسانيين) والذي يعرف كيف يستخدم العلم. ولقد ظهرت مقالته في (أوجبور جرزيتونج) ويمكن قراءتها اليوم بحذر أكبر وبشكل معدل بين مقالاته المختارة، ففيها عرض لكتابي باعتباره حادثة ونقطة تحول وعلى أنه أول علامة على التقدم وأسعد تنبؤ أو إحياء أصيل للشغف الألماني والهوى الروحي الألماني، ولقد أبدى هيلبراند كامل احترامه لشكل الكتاب، وذوقه وهدفه الكامل في التفرقة بين الأشخاص والمبادئ. وشخّصه على أنه أكبر كتاب إشكالي أنتجته اللغة حتى الآن - إنه أحسن تمثيل لفن الإشكاليات وهو خطر ولا يُستحسن النصح به خاصة بالنسبة للألمان! وهو لم يكتف بأن يؤكد - دون تحفظ - بل دعم ما جرؤت على أن أقوله عن تدهور اللغة في ألمانيا (اليوم، كتّاب النثر باعتبارهم من

أصحاب نزعة الصفاء والنقاء، رغم أنهم لا يكادون يستطيعون أن يؤلفوا عبارة)؛ وشاركني في احتقاري (لكبار المؤلفين) في هذه الأمة، وخَلُص إلى التعبير عن إعجابه بشجاعتي - تلك (الشجاعة القصوى التي تجرؤ على توجيه الاتهام ضد أفضليات ما يحبه شعب)... والنتائج المترتبة على هذا المقال عني هي مما لا يُقدَّر بثمن بالنسبة لي إبان حياتي: فلم يحدث لأحد أن حاول أن يتدخل في شئوني منذ ذياك الوقت.

لقد كان الناس صامتين وعاملني الألمان بحذر بالغ، ولعدة سنوات اعتدت على مثل هذه الحرية المطلقة في الحديث على نحو لا يحدث اليوم لأي إنسان في كل أنحاء (الإمبراطورية). إن فردوسي قائم في (ظل سيفي). وبالفعل لقد طرحت عمليًا أحد مبادئ الروائي الفرنسي ستندال: فهو ينصح الإنسان بأن يجعل دخوله إلى المجتمع من خلال معركة. ولقد أحسنْتُ اختيار عدوي! أكبر مفكري ألمانيا المتحررين.

كأمر واقع كان هذا نوعًا جديدًا تمامًا من الفكر الحر وجَدَ تعبيره في كتابي: وحتى اليوم لا يوجد أغرب وأقل قُرْبي بالنسبة لي عن ذلك النوع الأوروبي والأمريكي المعروف باسم (التفكير الحر). هناك بهلوانات في الأفكار الحديثة، وأجد نفسي

مختلفًا عنها وعن أي من دعاتها، أهم يريدون أيضًا أن يحسنوا البشرية وفق موضاتهم، أي وفق صورتهم؛ وضد ما أنا مهيأ له، وراغب فيه (بشرط أن يفهموه)؟ قد يشنون حربًا لا هوادة فيها؛ إنَّ كُلاً منهم لا يزال يعتقد فيما هو (مثالي)... إنني أول (اللاأخلاقيين).

(٣)

لا أحب أن أوكد أن هناك مقالين في كتاب (أفكار في غير أوانها) يتناولان الفيلسوف شوبنهور والموسيقى فاجنر يفضيان بصفة خاصة إلى فهمهما أو فهم مشكلاتهما السيكولوجية: وهكذا - مثلاً - فإن غريزتي العميقة واليقينية قد دلّت من قبل على العنصر الأساسي في طبيعة فاجنر باعتباره عبقرية مسرحية. وتُعد رسائله وأهدافه بالنسبة لهذا العنصر النتائج البسيطة والطبيعي. في الأعماق، أريد لهذا المقال أن يكون شيئًا بعيدًا تمامًا عن مجرد تدريب سيكولوجي، مشكلة فريد في التربية، تصور جديد في الالتزام الذاتي والدفاع عن الذات، وقد وصلا إلى نقطة الصلابة، وطريق إلى العظمة وإلى المهمات التاريخية العالمية - هذا المنطق المطلوب الكلي. وإذا جاز لي أن أتحدث بفجاجة فإنني التقطت نمطين شهيرين غامضين من قبل من ناحيتيهما تمامًا

كما يلتقط الإنسان الفرص، وذلك ببساطة من أجل التعبير عن نفسي لتكون لدي صيغ أكثر قليلاً، رموز، مواجهات لغوية في متناول يدي.

وفي الحقيقة أشير إلى هذا أخيرًا بحصافة غير ماكرة إلى صفحة ١٨٣ من دراستي (شوبنهور مُرَبِّيًا). لقد استغل أفلاطون أستاذه سقراط بالطريقة نفسها – أي كوسيلة للتعبير عن أفكاره.

ومن بعيد أستطيع أن أتطلع إلى الظروف التي تشهد بها هذه المقالات، ولا أنكر أن هذه المقالات لا تشير في الأعماق إلاّ إليّ. إن مقال (فاجنر في بايرويت) هو رؤية لمستقبلي الخاص؛ وبالعكس فإن مقال (شوبنهور مربيًا) هو سجل لتاريخي الشخصي وتطوري. غير أنه فوق كل شيء هناك الوعد الذي قطعته على نفسي! إنَّ ما أنا عليه الآن، الوضع الذي أتخذه الآن –وهو ذروة فيها لا أعود أتحدث بالكلمات بل بالرعود. أوه، كم كنت بعيدًا تمامًا عن كل هذا عندما ألَّفْت كتابي! لكنني قد رأيت الأرض –إنني لم أخدع نفسي لحظة بالنسبة للطريق والبحر والخطر– (و) النجاح! الهدوء التام لذلك الوعد، أنا سعيد بمستقبل لا يظل استثناء! لقد عشت كل كلمة بشكل عميق وشخصي! ولم تكن تنقصني الأشياء المؤلمة؛ وهناك كلمات تسري فيها مع الدم

حرفيًا، غير أن ريحًا للحرية العظيمة تهب خلالها كلها؛ وإن جروحها الخاصة لا تشكل أي اعتراض.

وبالنسبة لفكرتي عن الفيلسوف أنه انفجار مرعب يعرض للخطر كل شيء، وبالنسبة لكيفية وصولي لفكرتي عن الفيلسوف بعدة أميال عن الفكرة التي تستطيع أن تعترف حتى بالفيلسوف إمانويل كَانتْ، ولا أتكلم عن (التأمليين) الأكاديميين والأساتذة الآخرين للفلسفة – عن كل هذه الأشياء يعطي المقال معلومات لا تُقدَّر بثمن. وإذا ما خضنا في الأعماق فإن المقال ليس عن (شوبنهور مربيًا) بل نقيضه (نيتشه مربيًا) والذي يتكلم. وفي ضوء أنني آنذاك كانت حرفتي هي باحث ومدرس وربما أيضًا أنني (فهمت) حرفتي وهي الصرامة في السيكولوجية الدراسية التي تبدو فجأة في المقال ليست بدون مغزيك إنها تعبير عن الشعور بالمسافة، ثقتي العميقة بمهمة حياتي الحقيقية كمعارضة لا لمجرد وسيلة للبهرجة والديكور. إن حكمتي كانت عدة أشياء وفي عدة مواضع لكي أكون شيئًا واحدًا، وأحقق نتيجة واحدة. وهكذا خلال فترة واحدة قُدر لي أن أكون باحثًا ومدرسًا.

«إنساني، إنساني للغاية»

مع ملحقين

(١)

كتابي (إنساني، إنساني للغاية) مع ملحقين له يشكل أزمة. إنه يُسمى كتابًا للأرواح (الحرة): تكاد كل جملة فيه أن تعبر عن انتصار – لقد مكنني الكتاب من تطهير نفسي من كل شيء مغترب عن طبيعتي. إن المثالية غريبة عليّ.

وعنوان الكتاب يتضمن: «حيث ترون الأشياء المثالية أرى أنا الأشياء الإنسانية، ويا للأسى! إنسانية للغاية!». إنني أعرف الناس على نحو أفضل. إن كلمات (الأرواح الحرة) لا يمكن فهمها إلاّ على أنها تعني روحًا قد أصبح حُرًّا، قد استعاد تملكه لنفسه. والكتاب يشكل تغيرًا كبيرًا في النغمة والنبرة: وستعتقدون أنه كتاب ماهر وبارد في المواضع الصعبة والمليئة بالاحتقار. إن الروحية النبيلة والمشذبة للغاية يبدو أنها مشغولة بصراع مستمر مع سيل من الانفعال. وهذا يعطي بعض الدلالة لواقعة تذهب إلى أن الذكرى المئوية لوفاة فولتير هي التي حقًا وبشكل ما قد قدمت تبريرًا لنشر الكتاب مع أوائل ١٨٧٨،

ففولتير على عكس كل الذين كتبوا بعده كان أرستقراطيًا عقلانيًا – وهو مثلي تمامًا بالضبط. وإن وضع اسم فولتير على إحدى كتاباتي هو خطوة متقدمة حقًا نحوي.

فإذا فحصتم الكتاب بمزيد من العناية ستكتشفون روحًا قلقًا يتعرف على كل أماكن الاختباء – البشرية لما هو مثالي – مواقفها الحصينة وآخر ملاجئها. وبالشعلة في اليد (ونورها ليس نورًا مضطربًا بأي حال) أضوىء هذا العالم السفلي بشعاع نفاذ، إنها الحب، لكنها حب بدون بارود أو دخان ، بدون أي حركة من حركات الحرب. بدون شجن وأعضاء ملتوية – فهذه الأشياء ذاتها لا تزال هي (المثالية). خطأ تلو الآخر قد وُضع فوق الثلج! إن المثالي لا يُفند –بل يتجمد. وهنا على سبيل المثال (العبقرية) تتجمد؛ وحول المنعطف (القديس) يتجمد؛ وتحت وطأة الكتلة الجليدية يتجمد (البطل)؛ وفي النهاية فإنّ (الإيمان) الذي يسمونه (قناعة) وكذلك (الشفقة) يبردان إلى حد كبير – وطوال الكتاب فإن (الشيء في ذاته) الذي قال به الفيلسوف الألماني كانت يتجمد.

(٢)

لقد بدأت الكتاب وأنا وسط أول احتفال في مدينة بايرويت؛ كان هناك شعور عميق بالغربة مما حولي وكان هذا من أوائل ظروف الكتاب. وإن أيًا منكم عنده فكرة عن نوع الرؤى التي كانت حتى في ذلك الوقت تتناثر عبر دربي، يمكنه أن يتصور كيف شعرت عندما استيقظت ذات يوم في بايرويت. لقد كان الأمر كما لو كنت أحلم أين كنت؟ لا أستطيع أن أتبين شيئًا، لا أكاد أتبين فاجنر ولقد نقبت في ذاكرتي - ولكن عبثًا.

تربيش جزيرة نائية لما هو مبارك: ما من شيء يشبهها! الأيام التي لا تقارن عندما وضعنا حجر الزاوية، ونحن جماعة متجانسة صغيرة وكانت تحتفل، كانت ممتلئة بأشد الحساسيات رقة، وبالنسبة لهذا، ما من تتبع لأثر الذكريات! (ماذا حدث؟) كان فاجنر قد تحول إلى ما هو ألماني! إن الفاجنرية قد انتصرت على فاجنر الفن (الألماني) -السيد الألماني! البيرة الألمانية! بالنسبة لنا نحن الذين لا نعرف إلا جيدًا أي الفنانين هم المرهقون، والمعنى العالمي للذوق الذي يمكن أن يستجيب لفن فاجنر يتزخرف بالفضائل الألمانية، كنت أعتقد أنني أعرف الفاجنرية، لقد عشت ثلاثة أجيال من فاجنر، ومن برندل ذي الذاكرة المباركة الذي مزج

فاجنر بهيجل، إلى الصحفيين المثاليين في بايرويت الذين زودوا فاجنر بأنفسهم.

لقد سمعت كل أنواع الاعترافات عن فاجنر، من (النفوس الجميلة) مملكتي من أجل كلمة عقلانية! مثل هذا الحشد كان كافيًا لكي يجعل شعر الرأس يقف! كان هناك تول وبول وكول وعديد من الناس مثلهم، وهم نقاد للموسيقى مع مراعاة أن كلمة كول تعني اللغو. يا لفاجنر المسكين! إلى أي درب أفضى؟ لو كان فقط قد وقع وسط خنازير! لكن بين الألمان! وذات يوم، من أجل تهذيب الأجيال، كان يجب حقًا أن يملكوا طابع بايرويت الأصيل، أو على نحو أفضل أن يحتفظوا به في الروح - فهذا هو بالضبط ما ينفعهم - بمثل هذا النقش المكتوب: «عينة من الروح تأسست عليها (الإمبراطورية الألمانية)». ولكن كفى! فجأة وسط كل شيء سافرت لعدة أسابيع بالرغم من أن سيدة باريسية ساحرة حاولت مواساتي؛ لقد اعتذرت لفاجنر بكل بساطة ببرقية مميتة، ففي موقع صغير يُسمى كلينجبرون مخفيٍّ في بوهمر فالد حملت كآبتي واحتقاري للألمان كأنه مرض -وبين الحين والحين تحت عنوان عام (شفرة المرات) كتبت بضع جمل قليلة في مذكراتي، كل الملاحظات السيكولوجية القوية التي عاودت الظهور في كتاب (إنساني، إنساني للغاية).

(٣)

مثل هذا التغير الفجائي فيَّ لم يكن مجرد نزاع مع فاجنر – فقد كنت أعاني من انحراف عام في غرائزي، ولم يكن أي اضطراب مفرد سواء كان فاجنر أم أساتذتي في بازل إلا مجرد عَرضٍ مرضي.

وقد انتابني شيء من نفاد الصبر! ولقد رأيت أن الوقت قد حان لقليل من الاستبطان الذاتي. وفي النوم أصبح واضحًا لي كم أضعت من وقت من قبل – كيف ضاع وجودي كله بلا طائل كفقيه في اللغة إزاء مهمة حياتي. لقد خجلت من هذا التواضع الزائف... كانت ورائي عشرة أعوام لم أتلق خلالها إطلاقًا أي تغذية روحية، ولم أحصل على أي معرفة قصيرة، بل نسيت عديدًا من الأشياء بحثًا عن لغو وجفاف البحث العلمي الأكاديمي، أن أحرث من خلال المقاييس اليونانية العتيقة وأنا شبه أعمى –هذا هو ما حصلته!... لقد رأيت نفسي وقد نحلْت شفقة، لقد هزلت: كانت الحقائق تتناقض من محصولي من المعرفة ولم يعزف الشيطان إلا ما كان (المثاليون) جديرين به! وتولاني احتراق إيجابي: حتى ذلك الوقت كانت دراساتي تمامًا في مجالات الفسيولوجيا والطب والعلم الطبيعي – بل إنني لم

أرجع إلى الدراسة الفعلية للتاريخ إلا عندما اضطرتني لهذا مهمة حياتي.

كان حينئذ أيضًا أنني أدركت لأول مرة العلاقة بين وظيفة يتم اختيارها ضد غرائز الإنسان - وهي آخر شيء يريده الإنسان- وضرورة استدلال شعور بالفراغ والجوع من خلال وسيط الفن التخديري- فن فاجنر على سبيل المثال.

وبعد مراقبة دقيقة ومتابعة متفحصة اكتشفت أن عددًا كبيرًا من الشباب يعاني من المشكلة نفسها، وممارسة واحدة غير طبيعية تجر مباشرة لغيرها، وفي ألمانيا، أو بدقة أشد في الإمبراطورية كثيرون محكوم عليهم أن يختاروا وظيفتهم مبكرين جدًا، ويئنون حينئذ تحت وطأة حمل لا مهرب منه. مثل هؤلاء الناس يحتاجون إلى فاجنر كمخدّر -إنهم ينسون أنفسهم، إنهم يهربون من أنفسهم للحظة. ماذا أقول! - لمدة خمس أو ست ساعات!

(٤)

في ذياك الوقت كانت غريزتي تتقرر بشكل إطلاقي ضد اي استسلام أو سوء فهم لنفسي. إن أي نوع من الحياة، الظروف

غير الملائمة بالمرة المرضية، الفقر - أي شيء يبدو لي ملائمًا على نحو أفضل من تلك (الأنانية) الحقيرة التي وقعت فيها في البداية بسبب جهلي وشبابي، والتي ظللت فيها فيما بعد بسبب عدم تحركي والتي تُعرف باسم (الشعور بالواجب).

والآن، بشكل ما لا أستطيع أن أُعجب بهذا على نحو كافٍ وفي الوقت المناسب تمامًا، وكان يؤازرني ذلك التراث الشرير الذي أستمده من الجانب الأبوي -أساسًا هو شرط مسبق لموت مبكر. إن المرض منحني حريتي تدريجيًا. لقد جنبني أي نوع من الانقطاع الفجائي، جنبني أي نوع من العنف المتهور.

وفي ذلك الوقت لم أعانِ من فقدان الإرادة الطيبة! بل بالعكس اكتسبت المزيد، كما أعطاني المرض الحق في أن أعكس عكسًا كاملاً أي نمط من أنماط حياتي؛ فالمرض لم يسمح فحسب، بل أملي عليَّ بالفعل أيضًا أن أنسى؛ لقد فرض ضرورة التعويض عن الكسل والانتظار والصبر... وكل هذا كان يعني التفكير!... وكانت حالة عيني كافية لتوقفي عن التهام الكتب كأنني دودة أو بصريح العبارة التوقف عن فقه اللغة. لقد تم إنقاذي من الكتب؛ وظللت لعدة سنوات لا أقرأ - وهذا أعظم شيء أسبغته على نفسي. تلك النفس الجوهرية التي دفنتها والتي فقدت صورتها

تحت ضغط الإرغام على الإنصات للنفوس الأخرى باستمرار (وهذا هو ما تعنيه القراءة!) استيقظت بالتدريج على نحو معتدل وعلى نحو فيه شك، لكنها في النهاية (تكلمت مرة أخرى) ولم يحدث من قبل أن كنت سعيدًا بمثل ما كنت إبان أحلك فترات المرض، والآن طوال حياتي. ويكفيكم أن تفحصوا كتابي (الفجر) أو ربما كتاب (الهائم وظله) لتتأكدوا أن هذه (العودة للنفس) تعني: أنها هي نفسها كانت أفضل نوع من الشفاء!... والشفاء الفيزيائي المحض الآخر كان بكل بساطة نتيجة ذلك الشفاء.

(٥)

(إنساني، إنساني للغاية) هذا النسق الذاتي الضخم القوي الذي وضع نهاية حادة لكل ألاعيب التفوق و(المثالية) و(المشاعر الجميلة) وأمثالها من الألاعيب التي استوعبتها وجدت مخرجًا لها في سورنتو. لقد تم التوصل إلى النتائج وتشكلت بشكل نهائي، إبان شقاء في بازل في ظل ظروف أقل ملاحة عن الظروف التي كانت في سورنتو.

وكأمر واقع، لقد كان بيتر جاست - وكان آنذاك طالبًا في جامعة بازل ومكرسًا نفسه لي - هو المسئول عن الكتاب. فبرأسي المصدع الملفوف في الأربطة أمليت بينما كان هو يكتب ويصحح

– وفي الحقيقة هو المؤلف الحقيقي – بينما كنت أنا مجرد المؤلف وعندما أكملت الكتاب أخيرًا – لدهشتي – أرسلت ضمن أشياء أخرى نسختين إلى بايرويت، وبضربة عجيبة من الذكاءالساخر الذي كله صدفة تلقيت في الوقت ذاته بالضبط نسخة رائعة من نص (بارسيفال) وعليه الكتابة التالية بخط فاجنر «إلى الصديق العزيز فريدريك نيتشه من ريتشارد فاجنر الراعي الكنسي». ومع تقاطع هذين الكتابين بدا كأنني أسمع نغمة رائعة. أليس الأمر يبدو كما لو كان هناك (سيفان) يتقارعان؟ على أي حال، لقد شعرنا بالأمر على ذلك النحو؛ فقد ظل كل منّا صامتًا. وفي حوالي ذياك الوقت ظهرت الكُتَيْبات الأولى في بايرويت. وحينئذ فهمت لماذا كان الزمن رائعًا بالنسبة لي كما قد فعلت. شيء لا يُصدق! لقد أصبح فاجنر تقيًا ورعًا.

(٦)

إنّ ما ظننته في نفسي في ذلك الوقت (١٨٧٦) أي التأكيد المخيف الذي افترضته في مهمة حياتي، وما فيه من تاريخ عالمي معروض عرضًا طيبًا طوال الكتاب، ولكن بنغمة عالية التعبير. ويأتي هذا رغم ما صاحبني من مكر غريزي؛ تجنبت مرة أخرى الكلمة (أنا).

وعلى أي حال، في هذه المرة لم أضوِّئ بعظمة تاريخية عالمية لا شوبنهور ولا فاجنر، بل أحد أصدقائي الرائعين وهو الدكتور بول ري –ولحسن الحظ إنه مخلوق عظيم لا يمكن أن ينخدع (الآخرون كانوا أقل في هذا المجال).

وبين قرائي لدىَّ بعض الحالات الميئوس منها؛ وعلى سبيل المثال الأستاذ الألماني النمطي والذي يمكن إدراكه دائمًا في واقعة أن تلك الفقرة المذكورة ترغمه على اعتبار الكتاب كله نوعًا من الواقعية المتقدمة. وكأمر واقع، إن الكتاب يفيد خمس قضايا أو ست قضايا لدى صديقي: وبرهانًا على ذلك يمكن لكم أن تقرأوا مقدمة كتابي (شجرة أنساب الأخلاق). والفقرة المشار إليها على هذا النحو: «ما هي إذن النتيجة الرئيسية التي وصل إليها واحد من أجرأ المفكرين وأشدهم رزانة، مؤلف كتاب (أصل الإحساسات الخلقية) (على المرء أن يقرأ نيتشه أول اللاأخلاقيين). وقد وصل إلى النتيجة بتحليله الباتِّ والحاسم لأشكال السلوك الإنساني. يقول: «الإنسان الخلقي ليس أقرب للعالم العقلاني من الإنسان الفيزيائي العادي– لأنه لا يوجد عالم عقلاني».

فإذا ما اكتسبت هذه القضية صلابة وحِدَّة تحت ضربات مطرقة المعرفة التاريخية (اقرأوا : تجاوز تقييم كل القيم) ربما

يمكن في زمن مستقبلي - ١٨٩٠ - أن تفيد باعتبارها الفأس الذي يضرب في جذر (الاحتياج الميتافيزيقي) للإنسان - ما إذا كانت أكثر بركة من كونها لغة للبشرية، من الذي يمكنه أن يتنبأ؟ - ولكن على أي حال إنها قضية تتضمن أثقل النتائج، وهي في وقت واحد مثمرة ومخيفة.

وهي تواجه العالم بالإله اليوناني جانوس ذي الوجهين الذي هو وجه كل المعرفة الكبرى .

«الفجر»

أفكار حول الأخلاقيات باعتبارها تعسفًا

(١)

بهذا الكتاب بدأت حملتي ضد الأخلاقيات، ليس الأمر أن به أدنى رائحة من البارود بصدده - في الحقيقة سوف تجدون روائح أخرى وأكثر لطافة فيه إذا كانت أنوفكم حساسة. لا توجد مدفعية ثقيلة، ولا مدفعية خفيفة - إذا كان تأثير الكتاب بالسلب؛ فإن مناهجه ليست سلبية - المناهج التي فيها ينبع التأثير منها مثل محصلة أو نتيجة و(ليس) مثل طلقة مدفع.

وربما يترك القارئ الكتاب ولديه شعور بحذر متوسط بالنسبة لكل شيء إزاء كل تقدير، بل وحتى العبادة باسم الأخلاق، ولكن لا يتناقض هذا مع أنه لا توجد كلمة سلبية واحدة في الكتاب كله، ما من هجوم، ما من خبث -بل بالأحرى إنه معروض تحت الشمس وهو ناعم وسعيد مثل حيوان بحري يتوثب بين صخرتين. وفي الواقع كنت ذلك الحيوان البحري: تكاد كل جملة في الكتاب وقد جرى إعمال الفكر فيها، أو بالأحرى (التقاطها) من وسط كتلة الصخور بالقرب من جنوة حيث عشت وحيدًا وتبادلت الأسرار مع المحيط.

وحتى الآن عندما يحدث وألقي نظرة خلال الكتاب تكاد كل جملة تبدو لي مثل خطاف أجذب به مرة ثانية من الأعماق شيئًا لا يقارن؛ وإن جلده كله يهتز اهتزازات رقيقة من الذكريات. ولا ينقص هذا الكتاب فن ضمان الأشياء التي عادة ما تمضي بسرعة وصمت، وهي اللحظات التي أسميها أشكال الكسل الإلهية – إنه يضمنها لا بقسوة من نوع قسوة ذل الإله اليوناني الشاب الذي يطعن– بكل بساطة – السحلية الصغيرة المسكينة: ومع هذا لا يزال يستخدم شيئًا مدببًا ألا وهو العلم. «لا يزال هناك العديد من لحظات الفجر التي لا يزال عليها أن تنشر ضوءها» – هذا القول المأثور الهندي مكتوب في قائمة هذا الكتاب فأين سوف يبدأ كاتبه بحثه عن ذلك الصباح الجديد – آه!! سلسلة كاملة من الأيام، عالم جديد من الأيام الجديدة!! في (تجاور تقييم كل القيم) وفي أخلاق التحرر من كل القيم الخلقية وفي القول الإيجابي، في الثقة بكل ذلك ثم نسيانه من قبل كلية وجرى احتقاره ودفعه. وهذا الكتاب الإيجابي في أقواله يلقي أضواءه وحبه ورقته على كل الأشياء الشريرة، ويرد إليها مرة أخرى (روحها) وضميرها الحي وحقها السامي وميزة وجودها، إن الأخلاق لا تجري مهاجمتها، إن كل ما يحدث هو أنها لا تعود موضع الاعتبار.

وهذا الكتاب ينتهي بالكلمة (أوج) وهذا هو الكتاب الذي ينتهي على مثل هذا النحو.

(٢)

إن مهمة حياتي هي أن أعدَّ للإنسانية لحظة للوعي الذاتي الرائع. أوج ظهيرة عظيمة تحدق للوراء وللأمام معًا، عندما تبزغ من جبروت ما هو عرضي ومن الكهانة لأول مرة تطرح السبب والموقع فيما يتعلق بالإنسانية ككل.

وهذه المهمة للحياة نتيجة ضرورية للرأي القائل إن البشرية (لا) تتبع الطريق الحق لمسارها وأنها لا تحكم حكمًا إلهيًا، بل بالأحرى هي واقعة تحت غطاء قيمها المقدسة حيث مارس النزوع إلى السلبية والفساد والتفسخ عمله كقوة منتهكة. إن السؤال عن أصل القيم الخلقية هو لهذا سؤال له أهمية أولية بالنسبة لي؛ لأنه يحدد مستقبل البشرية.

إنه مطلوب منا أن نعتقد بأنه يوجد في باطن كل شيء خيْر الأيدي، وإن الإنجيل يعطي تأكيدًا مجردًا بمرشد إلهي وحكمة إلهية تشرق على مصير الإنسان. فإذا ارتددنا إلى الواقع فإننا نجد هذا: الإرادة في النزاع مع الحقيقة المرعبة التي تتمسك بما هو عكسي، والتي هي أن الإنسان قد أصبح في قبضة (أسوأ) الأيدي، وأنه محكوم من جانب غير المناسبين والحمقي ورجال الخداع

والانتقام ممن يُسمون (بالقديسين) -أولئك الذين يشوهون العالم والذين يطعنون الإنسانية. وهناك برهان حاسم على القول الذاهب بأن الكاهن (بمن في ذلك الكهنة المتنكرون على شكل فلاسفة) قد أصبح سيدًا لا في إطار جماعة دينية محدودة؛ بل في كل شيء وأن أخلاق التفسخ وإرادة المدح قد مرّت مثل الأخلاق في حد ذاتها وهي موجودة في هذا: إن الغيرية تُعد قيمة مطلقة غير أن الأنانية تواجه بالعداوة في كل مكان. إن من يختلف معي حول هذه النقطة أعتبره مريضًا ملوثًا. غير أن العالم كله يتفق معي. وبالنسبة للفسيولوجي الذي على هذا النحو، فإنّ مثل هذه المعارضة للقيم لا تترك موضعًا للشك.

فإذا ما أهمل أصغر عضو داخل الجسم ممارسة قواه للمحافظة على الذات ولو بأوْهَى قدر وأهمل مطالبه المتعاقبة و«أنانيته» فإن الجهاز كله سوف يتحلل. إن الفسيولوجي يصر على أن هذه الأجزاء المتآكلة يجب بترها؛ إنه يرفض كل الشعور بالرفاقية والعطف إزاء مثل هذه الأجزاء، إنه لا يشفق عليها على الإطلاق، لكن ما يريده الكاهن هو بالضبط انحطاط كل البشرية؛ ومن ثم يحتفظ بالعناصر المتآكلة -وهذا هو ثمن حكمة للبشرية كلها. فما هو معنى تلك الأكاذيب، المفاهيم الخادمات للأخلاقيات: (النفس)؛

(الروح)؛ (حرية الإرادة)؛ إذا لم يكن هدفها هو هدف التدمير الفسيولوجي للبشرية؟ متى لا يعود الإنسان جادًا إزاءالحفاظ على الذات وزيادة الطاقة الجسمانية للحياة؛ متى تكون النفس مثالاً واحتقار الجسم ازدراء على أنه (إفقار للنفس)؟ ماذا يمكن أن يكون كل هذا إن لم يكن تمهيدًا للتفسخ؟ إن فقدان ثقل التوازن والمقارنة المعترفة للغرائز الطبيعية بكلمة (اللاأنانية) -هذا هو ما يُسمى الأخلاقيات. ومع كتاب (الفجر) اتخذت أول خطوة في النضال ضد أخلاق نكران الذات.

«العلم المرح»

يُعد كتاب «الفجر» كتابًا إيجابيًا عميقًا لكنه واضح ورائع في الأسلوب. وهذا يصْدُق أيضًا بأقصى درجة على كتاب (العلم المرح)، ففي كل جملة فيه يقترن العمق بالروح العالي برقة. إنه شعر يعبر عن عرفاني لشهر يناير العجيب في تجربتي –والكتاب كله هو هدية من هذا الشهر –وهو يكشف على نحو كافٍ من أي أعماق تبزغ (الحكمة)لتصبح مرحة.

«لقد أذبتم الجليد من حول قلبي بفرعكم المشتعل:

وبتأثير تسارع بإفراغ نفسه في بحر الأمل الأقصى:

إنه أكثر بريقًا وأكثر نقاءًا أواه يا يناير الجميل،

إنك تضفي عليَّ عجائب إنجازك»!.

مَنْ ذا الذي لديه أدنى شك عن المقصود «بالأمل الأقصى» هنا إذا ما التقط شعاع جمال كلمات زرادشت الأولى المتألقة كالجواهر عند نهاية الكتاب الرائع؟ أو مَنْ ذا الذي لديه أدنى شك حيث الصياغة الأولى عن مصير كل العصور؟ إن أغنيات (الأمير حُرًا حرية الطير) قد كُتبت في صقلية، وهي تذكر الإنسان بقوة

بفكرة (العلم المرح) لهذه الوحدة من الغناء والفَارْسْ، والروح الحر الذي يميز تلك الثقافة المبكرة الرائعة في منطقة بروفنسال من بين كل الثقافات المُلتَبسة. إن القصيدة الأخيرة هي (إلى الريح الشمالية القوية) وهي رقصة مليئة بالحيوية فيها - إذا أحببتم- نسير على درب الأخلاق بحرية، وهي قصيدة كاملة في طابعها البروفنسالي.

«هكذا تكلم زرادشت»

كتاب للجميع وليس لفرد بعينه

(١)

لقد حان الوقت الآن لأحكي لكم تاريخ كتابي (هكذا تكلم زرادشت).. إن التصور الرئيسي فيه، أي فكرة (العَوْد الأبدي) هي أعظم صيغة للتأكيد يمكن للإنسان أن ينالها، إنما يرجع إلى أغسطس ١٨٨١. لقد دونت مذكرة سريعة عنه على ورقة مع حاشية تقول: «ستة آلاف قدم وراء الإنسان والزمن». في ذلك اليوم كنت أتمشى عبر الغابات بجانب بحيرة سيلفابلاتا، وتوقفت في موضع ليس بعيدًا عن سورلي بجانب صخرة ضخمة سامقة هرمية.

وهناك طرأت لي الفكرة، فإذا رجعت إلى الوراء شهرين قبل هذا اليوم فإنني أستطيع أن أكتشف علاقة تحذير على شكل توقف فجائي، وعميق في تذوقي -وخاصة بالنسبة للموسيقى، وربما يمكنني أن أضيف إن كتابي (هكذا تكلم زرادشت) هو بالكامل موسيقى، وأنا متأكد من أن شرطًا من شروط كتابته

هو أن ابتعث في فن الاستماع، وفي ريكورا - وهو جبل صغير تتدفق فيه المياه قرب فيسنزا حيث أمضيت ربيع عام ١٨٨١ - اكتشفت- ومعي صديقي المايسترو بيتر جاست (وهو إنسان آخر ولد من جديد أيضًا)- أن طائر الفينيق المتعلق بالموسيقى يحوم فوقنا ويستقر على الأرض على نحو أكثر ائتلافًا عن ذي قبل؛ لهذا إذا ما أرتددت من ذلك اليوم إلى المولد الفجائي للكتاب وسط الظروف غير المحتملة في فبراير ١٨٨٣ - عندما كُتب جزؤه الأخير الذي اقتبست منه بضعة أسطر في تصويري وتم إنجازه بالضبط أثناء الساعة الحادة لوفاة ريتشارد فاجنر في البندقية -فإنه يبدو أن فترة إنجازه استغرقت ١٨شهرًا.

وربما توحي هذه الفترة، فترة الثمانية عشر شهرًا -على الأقل للبوذيين أنني في الواقع أنثى فيل على سبيل التمثيل، وفترة التوقف خصصتها لكتاب (العلم المرح) الذي يمتلئ بمئات الإشارات عن تناول ليس له مثيل من قبل، وخاتمته تُظْهر بداية كتاب (هكذا آكلم زرادشت)؛ حيث إنه يعرض تفكير زرادشت الأساسي في الفقرة قبل الأخيرة من الكتاب الرابع.

وفي فترة التوقف هذه كتبت دراسة (ترنيمة إلى الحياة) (وفيها مزيج من الجوقة والأوركسترا). وقد فسَّر أ.د. فريتش

هذه الدراسة في ليبزج بعد عامين. وربما كانت الإشارة غير كافية الدلالة على حالتي الروحية في تلك السنة عندما ملأ نفسي بكاملها شجن إيجابي أسميه الشجن التراجيدي؛ وفي يوم ما سوف يتغنى الناس به احتفالاً بذكراي. ولما كان هناك تيار من سوء التفاهم فإنني أحب أن أؤكد القضية القائلة بأن النص ليس من عندي؛ لقد كان هناك إلهام فريد من امرأة روسية شابة هي الآنسة لوفون سالومي وكنت معها آنذاك على علاقة صداقة وطيدة. ومن يريد أن يستنتج معنى ما من المعاني من الكلمات الأخيرة من القصيدة سوف يفهم لماذا فضلتها وأعجبت بالقصيدة؛ ففي أبياتها عظمة، إن الألم لا يمكن أن يكون اعتراضًا على الحياة: «لا يهم إذا لم تكن لديك أي سعادة متبقية لتعطيها لي! فلا يزال لديك أسفك».

في هذه الفقرة يمكن أن أقول إن موسيقاي ترقى أيضًا إلى العظمة، وفي الشتاء التالي كنت أعيش في موقع لا يبعد كثيرًا عن جنوة على ذلك الخليج المسالم الرائع في راباللو والذي يخترق الأرض بين شيافاري وكيب بورتو فينو. لم تكن صحتي على ما يُرام؛ وكان الشتاء ممطرًا بغزارة؛ وكانت ضوضاء البحر شديدة بحيث تحول دون النوم. وهذه الظروف هي العكس تمامًا

من الظروف التي تتيح الراحة؛ ومع هذا وبالرغم من هذه الظروف وكما لو كان في هذا برهان على نظريتي القائلة إن كل شيء حاسم يقوم نتيجة التعارض والتقابل؛ وفي ذلك الشتاء عينه ووسط هذه الظروف غير الملائمة ولد كتابي (هكذا تكلم زرادشت). في الصباح اعتدت أن أبدأ وجهتي جنوبًا على الطريق الرائع المفضي إلى زوجلي، الذي ينهض وسط غابة من أشجار الصنوبر وتبيح للإنسان أن يطل على البحر.

وبعد الظهر وعندما تسمح صحتي كنت أتمشى حول الخليج بأكمله من سانتا مرجريت إلى ما يجاوز بورتو فينو. وهذه البقعة والريف المحيط بها كانا مشرقين على نحو متعاظم بالنسبة لي؛ لأن هذه البقعة كان يحبها الإمبراطور فريدريك الثالث حبًا جمًا. وفي خريف ١٨٨٦، تصادف أن توجهت إلى هناك مرة أخرى عندما كنت أعاود زيارة هذا العالم المنسي الصغير من السعادة لآخر مرّة. وعلى هذه الدروب خطر لي كل كتاب (هكذا تكلم زرادشت)؛ وخاصة زرادشت نفسه كنمط –ويمكنني بالأحرى أن أقول إنه لم يخطر لي بل (أحاط بي وغزاني).

(٢)

لكي تفهموا النمط الزرادشتي عليكم أولاً أن تكونوا واضحين

بالنسبة لحالته الفسيولوجية الأولى وهي حالة اخترت أن أسميها (الصحة الكبرى). ولا أستطيع أن أجعل هذه الفكرة أكثر وضوحًا أو أكثر شخصية عما قد فعلت من قبل في الفقرة رقم (٣٨٢) من الباب الخامس من كتابي (العلم المرح)؛ والعبارة جاءت على النحو التالي «إننا نعرف أشياء غير خيالية ولا تُسمى وجديدة تسبق مولد مستقبل لم يُبرهن عليه بعد – نحن نحتاج إلى وسائل جديدة نحو هدفنا الجديد؛ إننا نحتاج إلى صحة جديدة صحة أكثر مرحًا وجسارة وأصالة وقوة عما شاهدناه حتى ذلك الوقت. إن مَنْ تتوق نفسه لمعايشة المدى الكلي للقيم والرغبات السابقة لتطوف مبحرة في هذا البحر المتوسط المثالي؛ وهو انطلاقًا من مغامرات تجربته العميقة الخاصة سوف يعرف الشعور الذي يحس به الغازي والمكتشف لما هو مثالي؛ –وهو بالمثل يعرف الشعور بأن يكون فنانًا وقد يساوي مُشرِّعًا وحكيمًا ودارسًا وكاهنًا وقسيسًا ماهرًا قديمًا؛ – مثل هذا الإنسان يقتضي شيئًا باطنيًا واحدًا ألا وهو (الصحة الكبرى) – وهي صحة ليست مجرد امتلاك ساكن، بل هي التي يحصل عليها دائمًا ويجب عليه أن يحصل عليها؛ لأنه يضحي بها، ويجب أن يضحي بها هكذا؛ ولهذا الآن بعد أن سرنا طويلاً على الطريق، علينا نحن المغامرين أن نبحث عن المثالي، وحينئذ تتحطم سفننا، ولكننا نقول إننا أكثر صحة مما

يعترف به الناس فنحن بصحة خطرة ونستعيد الصحة مرارًا – ويبدو الأمر كما لو كانت مشكلتنا هي أن نستعيد الصحة، كما لو كنا رأينا أمامنا الأرض غير المستكشفة، ولها حدود لم يرها الإنسان بعد؛ وهذه أرض تمتد إلى ما وراء الأراضي المعروفة الأخرى والأماكن الخفية لما هو مثالي، وهو عالم مفرط في الجمال والغربة والشك والرعب والألوهية دافعًا لأقصى إثارة.

ولا يوجد على الأرض شيء يمكن أن يرضينا ويا للأسى! فكيف بمثل هذه المناظر التي تمتد أمامنا ومع ضميرنا ووعينا المتلئين بمثل هذه الرغبة لا نزال قادرين على أن نقنع (بإنسان اليوم الراهن)؟ هذا سيئ بما فيه الكفاية؛ ولكن أكثر من هذا من المحتم ألا نعتبر أقصى أهدافه وآماله إلا جدية ساحرة أو لا نعطيها أي اهتمام. وهناك مثال آخر يحوّم أمام أعيننا وهو مثال خطر عجيب كله إغراء، وهو أمل يجب ألا نرغب في دفعه لأي إنسان لأننا لا نستطيع بمنتهى السهولة أن نقرّ (بحق أي إنسان إزاءه).

إنه مثال لروح يلعب ببراءة (أي دون إرادة انطلاقًا من وفرة القوة لديها) مع كل شيء يُسمّى مقدسًا وخيِّرًا وإلهيًا ولا يُنتهك، وهو روح تكون أعلى المستويات شعبية بالنسبة له مجرد خطر،

مجرد تآكل، مجرد انحطاط، أو على الأقصى مجرد استرخاء وفوضى وتشوش ونسيان مؤقت للنفس؛ وهو مثال لإنسان أعلى رائع وممتاز وهو قد يبدو كثيرًا غير إنساني- وعلى سبيل المثال عندما يواجه كل وعي أشكال جديته وأشكال رزانته السابقة، ولكن قد تنشأ معه (جدية عظيمة) لأول مرة وتتأكد أول نغمة للتساؤل، ويتغير مصير النفس وتتحرك عقارب الساعة وتبدأ المأساة.

(٣)

هل يستطيع أي إنسان في نهاية هذا القرن التاسع عشر أن تتكون لديه أي فكرة واضحة ومتميزة عما يقصده شعراء حقبة أكثر قوة بالإلهام؟ إذا لم تكن لديه هذه الفكرة فإنني أحب أن أصف له الإلهام. إذا ما ترك الإنسان كل خرافة وراءه فإنه ينبذ بصعوبة تمامًا فكرة أن الإنسان هو مجرد تجسيد أو لسان حال أو وسيط لقوة عظمى.

إن فكرة الوحي أو الكشف تصف الظرف ببساطة؛ وأنا أقصد أن شيئًا عميق التأثير وقلقًا على نحو فجائي يصبح مشاهدًا ومسموعًا دون تحدد أو دقة يمكن وصفها. إن الإنسان ليسمع – والإنسان يبحث؛ إنه يأخذ – والإنسان لا يسأل من

الذي يعطي؛ إن فكرة تَعْرض كبرق وبشكل حتمي ودون تردد- وليس لي أي خيار في هذا. هناك وجد أو انجذاب ينفجر نوره المرعب بتيار من الدموع، وخلاله يتنوع تقدم الإنسان من تهوّر لا إرادي إلى تباطؤ لا إرادي.

هناك الشعور بأن الأمر قد أفلت من يد الإنسان مع وعي متميز شديد بلا تناهٍ، وهناك هزات رعّاشة تسري في الإنسان من رأسه إلى قدمه؛ - هناك سعادة عميقة لا تنقطع فيها مشاعر الألم والكآبة عن التأثير، لكنها مطلوبة كتلوين ضروري في تدفق النور هذا. هناك غريزة العلاقات الإيقاعية التي تضم عالمًا كليًا من الأشكال: الامتداد، الحاجة إلى إيقاع ممتد هو معيار يقيس قوة الإلهام، هو مقابل الضغط وتوتره. إن كل شيء يحدث دون إرادة كما لو كان الأمر تآكلاً في الحرية في استقلال بقوة وألوهية. وملاحظة تلقائية الصور والتشبيهات؛ ويفقد الإنسان كل إدراك بما هو خيالي ومشابه؛ كل شيء يظهر كما لو كان وسيلة بسيطة ودقيقة ومباشرة للتعبير، فإذا ما أردت أن تذكر عبارة من عبارات زرادشت فإن الأمر يبدو بالفعل كما لو كانت الأشياء نفسها تبدو كتشبيهات؛ (هنا تظهر كل الأشياء بالفعل بلطافة في خطابكم وتتملقكم؛ لأنها تمتطيكم من خلف، وعلى

كل تشبيه أنتم تمتطون هنا نحو كل حقيقة. وأمامكم يظهر كل حديث وكل كلمة تشرف بالوجود، وهنا كل وجود يصبح حديثًا، وهنا كل صيرورة ستتعلم منكم كيف تتكلم). هذه هي تجربتي (أنا) عن الإلهام، وليس لديَّ شك أنَّ عليَّ أن أرتد آلاف السنين لأجد شخصًا آخر يقول لي: «إنها أيضًا تجربتي أنا!».

(٤)

ظللت بضعة أسابيع بعد هذا على فراشي في جنوة، ثم أعقب هذا ربيع كله إحباط في روما حيث هربت إليها، ومعي حياتي، لم تكن تجربة جميلة؛ فهذه المدينة التي لم أخترها بنفسي والتي هي من بين كل الأماكن ليست الملائمة لمؤلف (هكذا تكلم زرادشت) وألقى كل هذا بثقله عليَّ.

وحاولت أن أترك روما وأردت أن أتوجه إلى أكويلا، وهي على النقيض تمامًا من روما وتأسست على روح معادية لتلك المدينة تمامًا، كما أنني سوف أجد مدينة لي يومًا ما في ذكرى رجل معادٍ للإكليروس، رجل من أعماق قلبي هو الإمبراطور فريدريك الثاني؛ غير أن القدر قال لا: كان عليَّ أن أرجع إلى روما. وأخيرًا كان عليَّ أن أقنع بيازا بريريني بعد أن استنفدت قواي بحثًا عن حي معادٍ للتقاليد المسيحية، وأخشى أن يحدث ذات يوم - وحتى

أتجنب مثل هذه الروائح السيئة قدر الإمكان- بحثت في بالازوول كيرينالي إن كان يمكن أن توجد غرفة لفيلسوف. وفي مسكن يعلو بيازا ويظل على روما مع وجود ينابيع في الأسفل وهي تدوي في أذني تألقت أكثر الأغاني نُشْدانًا للوحدة - (أغنية الليلْ). في ذلك الوقت كنت محاصرًا دومًا بلحن حزن شفيف تدوى تقفيلة مقطعه بالكلمات «الموت من خلال الخلود»... وفي الصيف عند عودتي إلى المكان المقدس حيث بدأت أول فكرة لكتابي «هكذا تكلم زرادشت» ولمعت مثل البرق في ذهني، تصورت الجزء الثاني. وكانت تكفيني عشرة أيام.

ولم أكن أحتاج إلى يوم إضافي للجزء الثاني أو الأول أو الثالث. وفي الشتاء التالي تحت سماء ينس حيث ملأتني لأول مرة بنورها اللامع وجدت الجزء الثالث لكتابي من زرادشت، ومن ثَم أكملت الكتاب والتأليف بأكمله وقد كاد يستغرق عامًا. كانت هناك زوايا خفية عديدة ومرتفعات في المنطقة حول ينس قد احتفت بي في لحظات لا تُنْسى، وهذا الجزء الحاسم وعنوانه: (الألواح القديمة والجديدة) تم تأليفه خلال الرائحة العطرة المتصاعدة من المحطة إلى إزا وهي أرض عجيبة مليئة بالأعشاب.

وعندما فاضت طاقتي الإبداعية بحرية كان نشاطي العقلي عظيمًا جدًا، لقد حصل الجسم على إلهامه، دعونا ننحِّ (النفس) من اعتبارنا، وغالبًا ما كانوا يشاهدونني راقصًا؛ لقد اعتدت أن أمشي عبر الجبال لمدة سبع أو ثماني ساعات دون أن تنتابني نأمة تعب، ولقد نمت نومًا عميقًا، وضحكت ضحكًا كثيرًا ولقد كنت قويًا وصبورًا على نحو كامل.

(٥)

إذا ما استبعدت فكرة الأيام العشرة هذه فإن سنوات إنتاج كتابي (هكذا تكلم زرادشت) وما أعقب هذا من سنوات، تعاسة لا مثيل لها. لقد كان ثمنًا باهظًا يدفعه الإنسان ليكون خالدًا: عليه أن يموت عدة مرات إبّان حياته. هناك شيء اسمه ثمن العظمة؛ فكل شيء عظيم سواء كان عملاً أم فعلاً بمجرد ما يكتمل يتحول في التو ضد مؤلفه، إن كونه مؤلفًا يجعله الآن ضعيفًا، ولهذا فهو لا يستطيع أن يطيق فعله، ولا يستطيع أن يواجهه، وحتى يُتمّ الإنسان شيئًا عليه ألا يقدر على أن يريده وهو شيء تنعقد به عقدة المصير الإنساني – ومواصلة هذا؛ إنه يكاد أن يسحق الإنسان، وهذا كاد أن يسحقني! إنه ثمن العظمة! وهناك شيء آخر – الصمت البريء الذي يسود.

إن للوحدة جلودًا سبعة، ولا شيء يستطيع أن ينفذ فيها وأنتم تمشون بين الناس؛ أنتم أيها الأصدقاء الأعزاء، ولكنها ليست إلا برية جديدة تلك التي تواجهونها -إن وجوهكم مشدوهة، أو على أفضل وجه هي مجرد تعبير عن نوع من التمرد. لقد عشت رد الفعل الأخير هذا بدرجات متباينة الشدة يكاد من كل إنسان يقترب مني؛ يبدو أنه لا يوجد شيء يمرح على نحو أعمق غير استشعار مسافة الإنسان فجأة. إن تلك الطبائع النبيلة نادرة وهي لا تستطيع أن تعيش بدون تبجيل.

وهناك شيء ثالث هو الإحساس العبثي بالجيد إزاء الوخزات، نوع من العجز في حضور كل الأشياء الصغيرة. ويبدو لي أن هذا شرط لا مفر منه نتج من إنفاق طاقة دفاعية هي شرط مسبق لكل فعل (إبداعي)، لكل فعل يولد من أعماق وجود الإنسان وصميمه، ومن ثم فإن القوى الدفاعية الصغيرة كما كانت تتوقف ولم تكن تتلقى مددًا متجددًا من الطاقة، بل إنني أجرؤ فأقترح عمليات للإنسان أو الكفّ عن العمل. ومثل هذا الإنسان معرض جدًا للإحساس بالبرد والارتياب، وهذا الارتياب هو في حالات عديدة مجرد اضطراب في علم أسباب المرض.

وفي مثل هذه الحالة أصبح واعيًا باقتراب قطيع من البقر

قبل أن أتمكن من رؤيته بعيني، وهذا راجع إلى عودة في لمشاعر متوسطة وأريحية، وهي تبث الدفء في....

(٦)

إنّ هذا العمل فريد تمامًا، دعونا نستبعد الشعراء من اعتباري. يمكن القول بأنه لا يوجد شيء جرى إنتاجه بمثل هذه الوفرة من القوة. إن مفهوم (الديونيسي) هنا أصبح (أعتي) فعلاً، وإذا ما قيست به كل الأفعال الإنسانية الأخرى، فإنها تبدو هزيلة ومحدودة.

وإنّ جوته أو شكسبير لا يمكن أن يتنفس لحظة في مثل هذا الجو المرعب من الانفعال والتسامي. وإذا ما قورن دانتي بزرادشت فإنه لن يكون سوى مؤمن ولى إنسانًا (يبدع) الحقيقة. (لأول مرة - إن زرادشت روح تحكم العالم، إنه مصير): وإن شعراء الفيدا الهندية هم كهنة وغير ملائمين بالمرة لفك إشكالية زرادشت - وكل هذا ليست له أهمية؛ فهو لا يعطي فكرة عن المسافة والوحدة اللازوردية حيث يستقر هذا العمل. وزرادشت على حق أبدى عندما يقول: «إنني أرسم دوائر حولي وحدودًا مقدسة، وليس هناك إلا القليلون جدًا الذين يمكن لهم أن يرقوا إليّ إلى ذرى أكثر لطافة، لقد بُنيت لي سلسلة جبلية من الجبال الأكثر قداسة».

إن كل روح طيبة أو كل نفس عظيمة لا تستطيع أن تبدع أقوالاً من نوع أقوال زرادشت. إن سلم صعوده وهبوطه يمتد إلى ما لا نهاية؛ إنه أبعد من هذا وهو ينشد الأبعد وهو (يمضي) أبعد من أي إنسان آخر. إنه يناقض نفسه في كل كلمة وهو أعظم النفوس إيجابية، ومع هذا ففيه تنحل كل التناقضات إلى وحدة جديدة، إلى ألطف قوى الطبيعة الإنسانية وأحطها، إلى أحلى وأرفع وأكثر الأشياء رعبًا فيها ينبع من مصدر مع يقين أبدي. قبله لم يعرف أحد ما هو العلو أو العمق؛ ولا يزال الناس لا يعرفون ما هي الحقيقة.

لا توجد لحظة واحدة في هذا الكشف للحقيقة جرى توقعها أو ألهمها حتى أعظم الناس. قبل (زرادشت) لم تكن هناك حكمة، ولا اختبار للنفس، ولا فن للحديث الآن، فإن أكثر الأشياء ألفة وعادية ينطق بكلمات لم تُسمع من قبل. إنّ العبارة تهتز انفعالاً والفصاحة تصبح موسيقى، وومضات البرق تسطع فوق مستقبل لم يحلم به إنسان وإن أقوى استخدام للأمثال والحكم هو مجرد لعب أطفال إزاء هذه العودة للغة إلى طبيعة التخيل.

انظروا كيف يهبط زرادشت من الجبل! انظروا كيف يتكلم بلطف للجميع! انظروا الرقة التي يعامل بها معارضيه -الكهنة-

وكيف أنه يعاني معهم من أنفسهم! هنا في كل لحظة يجري تجاوز الإنسان؛ ومفهوم (الإنسان الأعلى)يصبح أعظم حقيقة – وكل ما سُمّي عظيمًا في الإنسان يكمن في الأعماق بعيدًا بما لا يمكن قياسه. والطابع العاصف، والقدم الخفيفة، والحضور المطلق للضعف، وغزارة كل ما هو نمطي بالنسبة لزرادشت لم يجر التفكير فيه من قبل مقترنًا بجوهر العظمة، وبالضبط هذه هي الحدود المكانية، وهذه القابلية للأضداد يشعر زرادشت بها على أنها (بذرة كل الأشياء الحية) وعندما تسمعون كيف يحدد نفسه ستكفون عن البحث عن مثيل له.

«النفس التي لها أطول سلم وتستطيع أن تهبط إلى أعمق عمق، أكثر النفوس إحاطة التي تستطيع أن تنطلق وتحوّم نحو الأبعد في نفسها؛ أكثر النفوس ضرورة ومن الفرح تقذف بنفسها في الصدفة :

«النفس في الوجود والتي تغوص في الصيرورة؛ النفس الممتلكة التي تسعى للحصول على الرغبة والاشتياق:

«النفس التي تهرب من ذاتها وتستولي على نفسها في أوسع دائرة؛ أحكم النفوس التي بالنسبة لها يتحدث الحمق بشكل عذب؛

- «أكثر النفوس المحبة لذاتها، والتي فيها كل الأشياء لها تيارها وتيارها المضاد، لها جَزْرها ومدّها».

(غير أن هذا هو الماهية نفسها التي تشكل ديونيسوس). إن هناك اعتبارًا آخر يُفضي إلى هذه الفكرة نفسها. إن المشكلة السيكولوجية التي يمثلها نمط زرادشت هي على هذا النحو: يف يستطيع هو، هو الذي يقول لا إلى مدى لم يسبق له مثيل (ويتصرّف) بالنفي بالنسبة لكل شيء قال له الإنسان نعم يظل مضادًا لروح تقول لا؟ كيف يمكن له هو الذي يسمع مصير أثقل حمل، والذي مهمة حياته قدر أن يكون مع هذا أخف الأرواح وأكثرها تجاوزًا -لأن زرادشت هو راقص؟ كيف يمكن ل هوهو الذي له أحدُّ بصيرة في الحقيقة وأكثرها رعبًا والذي فكر في أكثر (الأفكار التي تدفع للهاوية) مع هذا لا يجد في هذه الأشياء أي اعتراض على الوجود أو على تردده الأبدي؟ كيف أنه بالعكس يجد الأسباب (لأن يكون نفسه) الإيجاب الأبدي لكل الأشياء «الإيجاب الهائل وغير المحدود؟»... «في كل هاوية أتحمل بركة إيجابيتي للحياة»... (غير أن هذا مرة أخرى هو جوهر ديونيسوس).

(٧)

فأية لغة مثل هذه الروح سوف تتحددث عندما تتواصل مع

نفسـها؟ إنـها لـغة (شـعر الديثرامب) ذلك النوع من الشـعر الذي هو مقدمة لنشوء الدراما. إنني مخترع الديثرامب. أنصتوا إلى الطريقة التي يتحدث بها زرادشت إلى نفسه (قبل شروق الشمس). قبل أن أتي فإن مثل هذه الأفراح الزمردية، مثل هذه الرقة الإلـهية لم تجد لـها أي صوت. حتى أعمق كآبة لديونيسوس تصبح ديثرامب. وأضرب لكم مثلاً (أغنية الليل)، الانتخاب الخالد للإنسان بسبب ما لديه من وفرة في النور والقوة، بسبب طبيعته الشمسية محكوم عليه بألا يحب إطلاقًا.

«هذا الليل. الآن كل الينابيع المتفجرة تتحدث بصوت أعلى ونفسي أيضًا هي ينبوع متفجر.

«هذا الليل. الآن فقط كل أغنيات المحبين تستيقظ، ونفسي أيضًا هي أغنية أحد المحبين.

«إنَّ شيئًا لا يهدأ وغير قابل للهدوء فيَّ: إنه يتوق إلى أن يجد تعبيرًا، إن شوقًا للحب في داخلي هو نفسه يتحدث بلغة الحب.

«نور أنا: آه، لقد كنت ليلاً! لكن وحشتي هي أن أكون مطوقًا بالنور!

«آه، لقد كنت مظلمًا وحالكًا! فكيف أمتص ندى النور!

«وأنتم أنفسكم إنني أباركم، أنتم النجيمات المتألقة والبعيدون عن الديدان بعدًا كبيرًا! –وسوف أبتهج في هدايا ضيائكم.

«غير أنني أعيش في نوري أنا، وأشرب مرة أخرى في نفسي الشعل التي تنبثق فيَّ!

«إنني لا أعرف سعادة المتلقي؛ ولقد حلمت بأن الاستيلاء لابد أن يكون أكثر بركة من التلقي.

«إن فقري هو الذي بفضله لم تكف يدي إطلاقًا عن المنح، إن جسدي هو أن أرى العيون المنتظرة والليالي المتلألئة بالاشتياق.

«أواه، إنه بؤس كل المانحين! أواه، إنه ظلام الشمس! أواه، التوق، التوقْ! أواه، الجوع الشديد في الشبع!

«لقد أخذوا منّي؛ ولكن مع هذا هل مسسْتُ نفوسهم؟ هناك هوّة بين الإعطاء والتلقي! وأصغر هوة يجب في النهاية إقامة جسر عليها.

«إن هناك جوعًا ينبعث من جمالي: إنني يجب أن أجرح أولئك الذين أضوِّؤهم؛ إنني يجب أن أسرق أولئك الذين أهديهم – ومن هنا أنا جائع للضعف.

«إنني أسحب يدي عندما تكون هناك يد قد امتدت من قبل؛ وأنا أتردد مثل الشلال الذي يتردد حتى في اندفاعه، ومن هنا أنا جائع للضعف.

«مثل هذا الانتقام هو ما تفكر فيه غزارتي، هذا السوء ينبع من وحدتي.

«إن سعادتي في المنح قد ماتت في المنح؛ وفضيلتي أصبحت قلقة من ذاتها بسبب وفرتها!

«إنَّ مَنْ يمنح معرّض لخطر فَقْد خجله؛ وبالنسبة لمن يوزّع يده وقلبه يصبح صلبًا في توزيعه.

«إن عيني لم تعد تفيض بسبب الخجل من المتضرعين، ويدي أصبحت قاسية بسبب ارتعاش الأيدي الممتلئة.

«متي نضبت دموع عيني وسقط قلبي؟ في وحشة كل المانحين! أواه، صمت كل المضيئين!

«شموس عديدة تدور في المكان الصحراوي، لكل ما هو مظلم تتحدث بنورها –ولكنها بالنسبة لي صامتة.

«أواه، هذا هو عداء النور بالنسبة للمشرق؛ إنه يشق مجراه دون شفقة.

«إنه غير عادل بالنسبة للمتألق في أعماق قلبه، بارد بالنسبة للشموس: هكذا يسير كل شيء.

«مثل عاصفة تشق الشمس مجراها... تلك هي رحلتها، إنها تنبع من إرادتها العنيدة، هذه هي برودتها.

«أواه، إنكم هكذا أيها الليليون المظلمون تستمدون دفأكم من المشرقين! إنكم تشربون اللبن والمرطبات من باعثي النور!

«أواه، هناك ثلج من حولي، ويدي تحترق من الثلج! إن هناك عطشًا في داخلي؛ وهو يلهث وراء عطشكم!

«هذا الليل، ياللأسى عليَّ أن أكون نورًا؛ وعطشي لما هو ليل! والوحشة!

«هذا الليل: إن اشتياقي ينفجر داخلي كينبوع - وللحديث إنني مشتاق.

«هذا الليل: إن كل الينابيع المتدفقة تتكلم بصوت أعلى... ونفسي أيضًا ينبوع متدفق.

«هذا الليل: الآن كل أغاني الحب تستيقظ ونفسي هي أيضًا أغنية حب».

(٨)

مثل هذا لم يكن أبدًا من قبل، ولم يستشعر به أحد أبدًا من قبل؛ ولم (يعانه) أحد من قبل، إن مثل هذه المعاناة لا يمكن أن تصدر إلا من الإله -ديونيسوس. وإن الجواب على مثل هذا الديثرامب، عن وحدة الشمس في النور، هو خيط أريان... مَنْ سواي يعرف مَنْ هو أريان! ما من أحد قد وجد مفتاحًا لمثل هذه الألغاز؛وإنني أشك ما إذا كان هناك إنسان قد رأى اللغز هنا. ذات يوم حدد زرادشت بعنف مهمة حياته - وهكذا أنا أيضًا، لا يجب أن يخطئ أحدكم الفهم، إن مهمتي هي قول إيجابي حتى درجة التبرير، حتى درجة التكفير بالنسبة للأشياء الماضية.

«إنني أمشي وسط الناس كشظايا المستقبل، ذلك المستقبل الذي أتأمله.

«وإنَّ نزعتي الشعرية وأملي أن أؤلف وأجمع في وحدة ما هو شظايا وألغاز وفرصة مخيفة.

«وكيف أستطيع أن أطيق أن أكون إنسانًا إذا لم يكن الإنسان

أيضًا مؤلفًا وقارئ ألغاز ومكفرًا عن الفرصة التي تُتاح له!

«التكفير عن الماضي وتحويل كل شيء (كان) إلى (ما أود أن أحوزه)- هذا وحده ما أسميه التكفير».

وفي صفحة أخرى حدد بدقة قدر الإمكان ما يعنيه (الإنسان) بالنسبة له - ليس موضوع الحب ولا موضوع الشفقة. إن زرادشت قد سيطر حتى على كرهه للإنسان. إن الإنسان بالنسبة له هو شيء أقصى، مادة خام، حجر قبيح في حاجة إلى نحات.

«لم تعد المسألة مسألة إرادة، لم تعد مسألة تقييم، لم تعد مسألة إبداع؛ أواه، إن مثل هذا الضعف العظيم هو بعيد عني تمامًا!

«وكذلك في الفطنة فقط أشعر بتولد إرادتي وبهجتي؛ وإذا كانت هناك براءة في معرفتي فذلك لأن هناك إرادة للتولد والتكثر.

«بعيدًا عن الرب والآلهة تغريني هذه الإرادة؛ ماذا يمكن أن يتبقى لإبداعه إذا كانت هناك - آلهة.

«ولكن بالنسبة للإنسان يجعلني هذا إبداعًا جديدًا، إرادتي الإبداعية المحمومة؛ ومن ثم تُفرض المطرقة على الحجر.

«آه، أنتم الناس داخل الحجر ترقد صورة لي صورة رؤاي! آه. تلك التي ترقد في أصلب حجر وأقبحه!

«(الآن إن مطرقتي تثور بعنف ضد سجنها). من الحجر تطير الشظايا؛ فما هي بالنسبة لي؟

«سوف أكمل: فقد خطر لي شيء -أكثر الأشياء ضوءًا خطر لي! إن جمال الإنسان الأعلى جاءني كظل. آه. يا إخوتي. ماذا تعني بالنسبة لي الآلهة!.

هناك ملاحظة أخيرة: إن مهمة حياة ديونيسوس تحت صلابة المطرقة وشرط من شروطها الأولى هي فرح محدد حتى في التدمير، إن الآمر يقول: «صلِّبوا أنفسكم!» والقناعة العميقة بأن - (كل المخلوقات صلبة) هي العلامة الجوهرية على الطبيعة الديونيسية.

بمعزل عن الخير والشر

استهلال لفلسفة المستقبل

(١)

إنَّ عملي في السنوات التالية يجري تشخيصه على نحو متميز بقدر الإمكان، والآن وقد تحقق ذلك الجزء الإيجابي من مهمة حياتي جاء التحول إلى القسم السلبي الذي عليه أن يرفض الجانبين بالكلمة والفعل معًا: وهذان الجانبان هما تجاوز كل القيم السابقة؛ والحرب الكبرى – استثارة يوم القرار الحاسم. والآن عليَّ أن أبحث حولي ببطء عن أندادي، أولئك الذين ينطلقون من القوة. ويمكنهم أن يساعدوني في عمل التدمير. ومنذ ذياك الوقت فإن كل كتاباتي هي نوع من التغذية.

فهل أفهم من وجهة النظر كأي إنسان؟ فإذا لم يجر (التقاط) شيء فليس عليَّ أنا ملام. (بكل بساطة ليست هناك سمات يمكن اصطياده).

(٢)

في كل النقاط الجوهرية فإن هذا الكتاب (١٨٨٦) هو نقد (للحداثة)، بما في ذلك العالم الحديث والفن الحديث. بل حتى

السياسة الحديثة مع بعض الدلالات بشأن نمط معاكس لا يكون مثل الإنسان الحديث بقدر الإمكان، نمط نبيل كله إيجابية. وبهذا المعنى الأخير فإن الكتاب هو (مدرسة للسادة النبلاء)- والمصطلح هنا يُستخدم على نحو حافل أكثر من ذي قبل بالدلالة الروحية الراديكالية، وحتى يمكن تحمل الفكرة يجب أن يكون الإنسان من الناحية الفيزيقية شجاعًا، على الإنسان ألا يتعلم الخوف إطلاقًا.

وكل تلك الأشياء التي يفخر بها العصر يجري استشعارها على أنها تتصارع مع النمط المذكور؛ إنه يجري النظر إليها في ضوء العادات السيئة. ومن بين تلك الأشياء المشهورة جدًا (الموضوعية) و(التعاطف مع كل من يعاني) و(الحس التاريخي) مع كل الخضوع للأذواق الأجنبية، وتمرغها في التراب أمام (الوقائع الصغيرة) وأخيرًا جنون العلم - فإذا أدخلتم في اعتباركم أن هذا الكتاب هو التالي على كتاب (هكذا تكلم زرادشت) فربما يمكنكم تخمين إلى أي نظام غذائي يدين بوجوده. إن العين التي تُضطر بقوة أن ترى الأشياء لعلى مسافة بعيدة -فإن زرادشت هو بالأحرى أكثر بُعْدًا في النظر عن القيصر- مفروض حتى بالعكس للتركيز بحدّة على ما هو قريب من التناول: عصرنا وبيئتنا.

وفي كل الفقرات وخاصة في شكلها سوف يجد القارئ نفس الرفض (الإرادي) لتلك الغرائز التي تجعل (زرادشت) ممكنًا، الرهافة في الشكل وفي الأهداف وفي فن أن تظل صامتًا يجري تأكيدها؛ ويجري تناول السيكولوجيا بصلابة وقسوة متعمدتين - والكتاب يستهدف أن يتم بدون كلمة طبيعية طيبة واحدة... وكل هذا إنعاش ومن يمكن أن يتصور نوع الاستجمام الذي يتم على نحو ضروري بمثل هذا الإنفاق للخيرية كما توجد في «زرادشت»؟ إذا ما تحدثنا من الناحية اللاهوتية - وتنبهوا بشدة أنني نادرًا ما أتكلم كلاهوتي - .

«شجرة أنساب الأخلاق: إشكالية»

المقالات الثلاث التي تشكل هذه الشجرة هي حسب التعبير والهدف والتكنيك الخاص التي، لا يمكن توقعها، هي أعجب الأشياء التي كُتبت. إن ديونيسوس كما تعرفون هو أيضًا إله الظلام. وفي كل حالة فإن البداية محسوبة لتفضي بالإنسان بعيدًا، إنه تعطش مقصود بارد وعلمي وحتى تهكمي، بل هو تحفظ مقصود. وتدريجيًا فإن الجو يصبح أقل هدوءًا؛ وتحدث ومضة عرضية من الضوء؛ والحقائق غيرت البهجة المتزايدة تؤكد ظهورها مع صوت مُدٍّو غبي من المسافات النائية – إلى أن أنال إيقاعًا قويًا فيه يمتد كل شيء مع شدة وكثافة مخيفتين. وفي النهاية؛ في كل حالة وسط هزيم الرعد، الرعد المخيف تتبدًّى حقيقة جديدة من خلال السُّحب الكثيفة. وحقيقة المقال الأول هي سيكولوجية المسيحية: مولد المسيحية من روح الاستياء، وليس كما هو مُفترض من (الروح الخالص) – إنها حركة مضادة، تجريد عظيم ضد هيمنة القيم النبيلة. ويتناول المقال الثاني سيكولوجية الضمير، وهو ليس –كما هو السائد – باعتباره

(صوت الرب في الإنسان)؛ إن الضمير هو غريزة القسوة وهي ترتد على ذاتها وهي لا تعود تتجه إلى الخارج؛ والقسوة هنا تنكشف لأول مرة كعنصر من أقدم العناصر والتي لا يمكن الاستغناء عنها في تأسيس الثقافة. والمقال الثالث هي ردّ مسألة أصل القوة المرعبة لمثال الزهد، مثال الكاهن، بالرغم من أن هذا المثال ضار وأنه إرادة التدمير والتفسخ. وأجيب فأقول: إنه قوي لا لأن الرب ينشط وراء الكهنة كما يعتقدون، بل (لعدم توافر الأفضل) ومن ثَم فإنه المثال الأوحد؛ وهو ليس له منافس. «إن الإنسان يفضل أن يأمل في العدم من ألا يأمل على الإطلاق» والمشكلة الرئيسية هي أنه قبل (زرادشت) كان ينقصنا المقابل. لقد فهمتم قصدي. افتتاحيات حاسمة ثلاث تسبق (تجاوز تقييم كل القيم) - وهذا الكتاب يحوي السيكولوجيا الأولى الخاصة بالكاهن.

«أفول الأوثان»

كيف نتفلسف بمطرقة

(١)

هذا الكتاب الذي تتجاوز صفحاته (١٥٠) صفحة بنغمته الخفية والمصيرية مثل الشيطان الذي يضحك. وهو مؤلَّف ترددت عدة أيام حتى أحدده. هو استثناء بين الكتب بشكل تام؛ فلا يوجد كتاب آخر أكثر منه ثراءً في مادته وأكثر استقلالاً وأكثر هدمًا- وأكثر فظاعة. فإذا حدث لأي إنسان أن اهتم بتكوين فكرة موجزة عن كيف كان كل شيء منذ زماني مقلوبًا، فإنه يحسن أن يبدأ بقراءة هذا الكتاب. إنّ ما يُسمَّى (أوثانًا) في العنوان هو ما كان يُسمّى حتى ذلك الوقت الحقيقة. إن (أفول الأوثان) بالفصيح هو الحقيقة البالية وهي تقترب من نهايتها.

لا توجد أية حقيقة، أية (مثالية) إلاّ وقد مسّها هذا الكتاب. (مسّها! يا له من تعبير لطيف حذر!) ليس مجرد تلك الأوثان الخالدة، بل أيضًا تلك الأوثان الأكثر حداثة - وبالتالي أكثرها تخريفًا: الأفكار الحديثة على سبيل المثال. إن ريحًا قوية تهب بين الأشجار وفي كل مكان تسقط الثمار - الحقائق - على الأرض.

هناك فيض كما لو كان هنا خريف مُفَرط في إثماره؛ إنكم ترحلون عبر الحقائق، بل إنكم حتى تسحقون البعض سحقًا شديدًا، وهناك الكثير من هذا لكن تلك الأشياء التي تلتقطونها ليست هي المطروحة موضع التساؤل، فلها طابع الحسم. إنني وحدي أمتلك محكًا لاختبار (الحقيقة)؛ إنني الحَكَم الوحيد، يبدو الأمر كما لو كان هناك وعْي وقد انبثق داخلي، كما لو كانت (الإرادة) فيَّ قد ألقت ضوءًا على الدرب الممتد عبر العصور. الدرب، هو ذلك الذي سموه الطريق إلى (الحقيقة). إن كل دافع مظلم – (أشد الآمال غموضًا)– إنما يولِّي وينتهي؛ و(الرجل الطيب) بالضبط هو الأقل وعيًا (بالطريق الحق). وإذا ما تكلمت بجدّية فإنه لا يوجد إنسان قبلي عرف الطريق الحق، الطريق الصاعد؛ بعد زماني فحسب يمكن للناس مرة أخرى أن يجدوا الآمال، وسهام الحياة، والدروب المفضية للثقافة –والتي أنا (حَكَمُها المبتهج). وعلى هذا فإنني أيضًا القدر المميت.

(٣)

بمجرد أن أتممت هذا العمل، ودون أن أضيع يومًا واحدًا هاجمت المهمة المرعبة الخاصة (بتجاوز التقييم) بشعور فائق بالفخار الذي لا يمكن لشيء أن يضاهيه؛ وفي كل لحظة من

خلودي حفرت علامة تلو أخرى على ألواح نحاسية بيقين القدر والمصير؛ لقد جاء التصدير للكتاب ٣ سبتمبر ١٨٨٨ وعندما أجزته بزغ فيَّ هواء الصباح وحياتي هو أجمل يوم انكشف لي في منطقة الأنجادين العليا واضحًا متألقًا بالألوان، وهو يضم التناقضات وكل التدرجات المتوسطة بين الثلج الشمالي والجنوب. وبسبب تأخير من جراء الفيضانات لم أغادر سلز ماريا حتى يوم ٢٠ سبتمبر، حتى إنني كنت في النهاية الزائر الوحيد في هذه البقعة العجيبة التي يمكن لعرفاني بالجميل أن يسبغ عليها هبات اسم خالد. وبعد رحلة مليئة بالأحداث منها الإفلات بمعجزة من الموت في مياه بحيرة كوفو التي فاضت عندما وصلت إليها في ذروة الليل –لقد وصلت إلى التورين بعد ظهر يوم، والتورين هي الموقع الملائم الوحيد بالنسبة لي، ومن ذياك الوقت أصبحت موطني.

لقد أجَّرْتُ نفس المسكن الذي شغلته في الربيع وهو ١١١,٦ فياكرلو ألبرتو مقابل الموقع الذي وُلد فيه فيتوربو إمانويل، ولقد كان الجبل في الريف ممتدًا دون أن أتردد ودون أن أترك نفسي تتراجع لحظة رجعت إلى مؤلَّفي؛ لم يكن قد تبقى سوى الربع الأخير حتى أكتبه. وفي يوم ٣٠ سبتمبر تحقق الانتصار؛ في اليوم السابع؛ لقد كان هناك كسل على ضفاف نهو البُّو. وفي ذلك اليوم

نفسه كتبت تصدير (أفول الأوثان) وصححت المسوَّدات والتي شكلت بالنسبة لي نوعًا من الاستجمام إبان شهر سبتمبر. إنني لم أعشق من قبل مثل هذا الخريف؛ ولم أتخيل إطلاقًا أن مثل هذه الأشياء يمكن أن توجد – إن كلود لورين يمتد إلى اللانهاية، وكل يوم هو كمال غير محدود.

قضية فاجنر، مشكلة الموسيقى

(١)

حتى يكون الإنسان منصفًا بالنسبة لهذا المقال عليه أن يعاني من قدر الموسيقى كما لو كان يعاني من جرح مفتوح – من أي شيء أعاني عندما أعاني من قَدَر الموسيقى؟ إنني أعاني من كون الموسيقى قد حُرِمتْ من طابعها الإيجابي المصور للعالم – لقد أصبحت موسيقى متفسخة ولم تعد فلوت الإله اليوناني ديونيسوس.

وعلى أية حال، فلنفرض أن إنسانًا يُشْعر الفرد بأن قضية الموسيقى هي قضيته الشخصية، إنها تعبير عن انفعاله هو؛ في هذه الحالة سيجد هذا المقال حفيًا ورقيقًا للغاية. ولكي يكون الإنسان حفيًا ومنتشيًا وسط مثل هذه الظروف ومع الآخرين لكي يستخرج فكاهة طيبة الطابع من ذات المرء حيث يتم تبرير أية درجة من الصلابة : هي الإنسانية نفسها». من ذلك الذي يستطيع أن يشك في أنني باعتباري محاربًا عجوزًا – يمكنني أن أدرب مدافعي الثقيلة وأوجهها ضد فاجنر؟ – وكل شيء حاسم في هذه المسألة أبقيه لنفسي – لقد أحببت فاجنر – ولكن فوق كل

شيء إن هجومًا على شخص غير مجهول أكثر من كونه مخادعًا لا يستطيع إنسان آخر أن يضفي عليه طابعًا إلهيًا بسهولة هو جزء مهم من مهام حياتي. أوه. لا يزال لديَّ عدد قليل من الأشخاص الأخرين غير المجهولين لأنزع عنهم القناع الخاص بالموسيقى! وبصفة خاصة عليَّ أن أوجه الهجوم ضد الشعب الألماني الذي هو المُثُل الروحية، والذي يشب بشكل دائم على نحو أكثر تراخيًا وفقرًا في الغرائز وأكثر (أمانة)؛ وهو شعب - بشهية يُحْسد عليها - يصر على تغذية الآخرين بالتناقضات ويتجرّع (الإيمان) مع العلم، المحبة والمسيحية مع معاداة إرادة القوة (للوصول إلى الإمبراطورية) مع مثال التواضع - كل هذا بدون أدنى علامة من علامات سوء الهضم! إنهم لا يتخذون موقفًا وسط كل هذه التناقضات! يالها من معدة محايدة! يا له من خلو الذاتية! ياله من شعور بالعدالة في ذوق الألوان الألمانية تضفي حقوقًا متساوية على الجميع -وتجد كل شيء على ما يُرام! إن الألمان دون شك مثاليون. وفي آخر زيارة لي لألمانيا وجدت الذوق الألماني مشغولاً بإضفاء حق متساوٍ على فاجنر وعلى عازف البوق في ساكنجن؛ وأنا نفسي رأيت مدينة ليبزج وهي تحاول أن تكرم واحدًا من أكثر الموسيقيين عبرية - (وأنا أستخدم المعنى القديم للكلمة الألمانية بهذا المعنى) وهو

مجرد ألماني في الإمبراطورية، إنه السيد هنريخ شوتز الذي أسس جمعية للموسيقى لا بهدف غرس الموسيقى الكنسية والتبشير بها. إن الألمان بلا شك مثاليون.

(٢)

ولكن لا يوجد هنا شيء يمنعني من أن أكون وقحًا وأقول للألمان حقائق غير مبهجة قليلة: ومَنْ هناك يمكن لغيري أن يفعل هذا؟ إنني أتحدث عن رخاواتهم في المسائل التاريخية، ولم يفقد الألمان الرؤية المتسقة للتقدم الثقافي والقيم الثقافية فحسب؛ كما أنهم ليسوا فقط دُمى سياسية (أو كنسية)؛ ولكن هذه الرؤية المتسقة نفسها قد حرموها على أنفسهم. أولاً وقبل كل شيء يجب أن يكون الإنسان (ألمانيًا). يجب أن يمتَّ إلى (العِرق): حينئذ فقط يمكنه أن يحدد كل القيم التاريخية ونقل القيم - حينئذ وحسب يمكنه أن يؤسسها ... (إنني ألماني) وإنني أطرح حجة، مبدأ: إن الألمان يطرحون (النظام الخلقي في الكون) وفي التاريخ؛ وهم في علاقتهم بالإمبراطورية الرومانية مثاليون بالنسبة للحرية؛ وفي علاقتهم بالقرن الثامن عشر إنما يستعيدون الأخلاقيات (الآمر الأخلاقي) روّج له الفيلسوف الألماني كَانتْ. وهناك مثل هذا الشيء الذي يفسّر التاريخ حيث توجد ألمانيا الاستعمارية؛

بل أخشى أن أقول إنّ هناك تاريخًا معاديًا لكل ما هو رائع - هناك أيضًا محكمة للتاريخ بالنسبة لها لم يكن فون تروتسكه خجلاً من نفسه. ومؤخرًا هناك رأي مثالي نظرية. وهاكم الأمر: النهضة والإصلاح يجب أن يشكلا الولادة الجمالية والولادة الجديدة الخلقية، مثل هذه العبارات يضيق بها صدري، وإنني أشعر برغبة، بل أشعر أن من واجبي أن أقول للألمان مرة واحدة ما هو موجود من قبل في ضميرهم (إن كل جريمة كبرى ضد الثقافة ارتُكبت خلال الأربعمائة سنة الماضية تقع على عاتق ضميرهم!)....

ودائمًا لنفس السبب، بسبب جبنهم الأصلي في مواجهة الواقع، والذي هو أيضًا جبن في مواجهة الحقيقة؛ بسبب الزيف الذي كاد أن يصبح غريزيًا فيهم - بسبب (مثاليتهم) حرم الألمان أوروبا من الثمار، المعنى الكلي من آخر حقبة عظمتها - النهضة؛ وكان هذا في وقت عندما كان هناك نظام أرقى للقيم، عندما كانت القيم نبيلة والتي تقول نعم للحياة، والتي تؤكد مستقبلاً، قد حققت نصرًا على القيم المقابلة، قيم الانحطاط في صميم مؤيديها إثم. لم يكتف لوثر - ذلك الكاهن الفظيع المميت - باسترداد الكنيسة، بل استعاد بشكل أسوأ ألف مرة المسيحية في اللحظة نفسها التي كانت فيها منهكة. إنّ المسيحية باعتبارها

(رفضًا لإرادة الحياة) أصبحت دينًا! ولقد كان لوثر كاهنًا مستحيلاً وعلى أساس (الاستحالية) هذه هاجم الكنيسة، ومن ثَمّ استبعاد المسيحية. والكاثوليك لديهم ما يبرر احتفالهم تكريمًا للوثر وعرض تمثيليات احتفالية تكريمًا له. لوثر و(إعادة الميلاد الأخلاقية)! إلى الشيطان كل علم نفس! لا شك في ذلك فالألمان مثاليون، وفي مناسبتين منفصلتين بشجاعة مخيفة وسيطرة على النفس واستطاعة وموقف علمي كامل وقيام للعقل تم إحرازه. عرف الألمان كيف يجدون ممرًا سريًا مرة أخرى إلى (المثال) القديم، التصالحات بين الحقيقة و(المثال)، وفي الأعماق توجد صياغة من أجل حق رفض العلم وبث الزيف مرة أخرى. ليبنتز وكانتْ، هاتان السلسلتان العظيمتان عبر الأمانة العقلية لأوروبا! وأخيرًا عندما ظهر على الساحة قرنان من التفسخ، ظهرت قوة فائقة لعبقرية وإرادة قويتين بما فيه الكفاية لإدخال أوروبا في وحدة سياسية واقتصادية يمكنها أن تحكم العالم!

والألمان بحروبهم من أجل الاستقلال سرقوا أوروبا من معناها، سرقوا المعني العجيب لحياة نابليون. وتمشيًا مع هذا جلبوا المسئولية على كل شيء نَجَم عن هذا الوضع، كل شيء موجود اليوم - السقم والغباء اللذان يعارضان الثقافة، الذهان الذي يُسمّى القومية والذي تعاني منه أوروبا، هذا التقسيم الأبدي لأوروبا إلى

دويلات مصاحبة لسياسات صغيرة؛ لقد سرقوا أوربا نفسها من معناها وذكائها – لقد قادوها إلى وادٍ مغلق، فهل هناك سواي مَنْ يعرف طريق الخروج من هذا الوادي المغلق؟ هل هناك إنسان يعرف مهمة مشتركة كبرى لإعادة توحيد شعوب أوروبا؟

(٣)

وفوق كل شيء لماذا لا انطق بشكوكي؟ في حالتي أيضًا فإن الألمان سوف يحاولون أن يجعلوا الجبل العظيم لا يلد إلاَّ فأرًا، لقد حاولوا أن يتصالحوا معي حتى الوقت الراهن؛ وأنا أشك فيما إذا كانت الأشياء سوف تتحسن في المستقبل.

أوه، كيف يمكن لي أن أبرهن على متنبئ زائف هنا! إن قرائي ومستمعيي الطبيعيين هم من قبل؛ الروس والاسكندنافيون والفرنسيون –فهل سيظلون دائمًا هُمْ هُمْ؟ في تاريخ المعرفة فإن الألمان لا يمثلهم سوى أسماء مشكوك فيها، إنهم لم ينتجوا سوى متأرجحين (غير واعين) (والأمر ينطبق بالمثل على فيشته وشلنج وشوبنهور وهيجل وشلرماخر وكذلك كانت وليبنتز؛ فهم جميعًا ليسوا سوى أتباع لشلرماخر، مع العلم بأن كلمة شلرماخر تعني أيضًا صانع الحجاب والنقاب).

ولا يجب على الألمان أن يكون لهم شرف أن يرتبطوا بأول

عقل صريح في تاريخهم العقلي،وهو عقل تسود فيه الحقيقة فوق تأرجح متردد لمدة أربعة آلاف سنة. (العقل الألماني) يشكل بالنسبة لي مناخًا سيئًا: إنني أتنفس بصعوبة في جوار هذه القذارة السيكولوجية التي أصبحت الآن شيئًا غريزيًا وهي قذارة تفضح كل كلمة، وكل حركة الألمان، إن الألمان لم يطيقوا على الإطلاق القرن السابع عشر، قرن اختبار الذات القوي كما فعل الفرنسيون - وإن لارشوفوكو وديكارت يتبعان صراطًا مستقيمًا على نحو أفضل آلاف المرات عن الأوائل من بين الألمان - والألمان ليس لديهم حتى الآن علماء نفس. غير أن علم النفس من الناحية العملية هو معيار تُقاس به نظافة وقذارة عرْق من الأجناس البشرية... وإذا لم يكن الإنسان نظيفًا كيف يمكنه أن يكون عميقًا! إن الألمان مثل النساء، لا نستطيع أن نتخيل أعماقهم -فليست لهم أعماق. وهذا ينهي المسألة. بل وحتى هم لا يمكن أن يُسَمَّوا ضحلاء. إن ما يُسمى عميقًا في ألمانيا هو هذه القذارة الغريزية تجاه الإنسان والتي قد تحدّثت عنها. إنهم لم يكونوا واضحين (في المستقبل) بالنسبة لطبيعتهم. ألا يمكن لي أن أقترح أن كلمة ألماني هي مقابل ما يدل علي هذا الفقر السيكولوجي؟ - في هذه اللحظة مثلاً، يعلن الإمبراطور الألماني أن من واجبه المسيحي أن يحرر العبيد في أفريقيا، وبيننا نحن

الأوربيين الطيبين يُسمى هذا بكل بساطة (ألمانيا). هل حدث أن أنتج الألمان حتى كتابًا واحدًا له عمق؟ إنهم ليست لديهم أية فكرة عما يشكل العمق. (لقد عرفت باحثِين يعدّون الفيلسوف الألماني كانتْ عميقًا). وفي البلاط الروسي أخشى أن يُعد السيد فون تروتسكه عميقًا. وإذا حدث وأثنيت على الروائي الفرنسي ستندال كسيكولوجي عميق، فإنهم يرغمونني وسط الأساتذة في الجماعات الألمانية على أن أنطق اسمه حرفًا حرفًا حتى يعرفوا اسمه حقًا.

(٤)

ولماذا لا أصل إلى النهاية؟ إنني أحب أن أجعل الأشياء نظيفة جلية. إنّ مما يشكل جزءًا من طموحي هو أن يعدَّني الناس محتقرًا للألمان على الأصالة. عندما كنت في السادسة والعشرين عبرت عن شكي في الطابع الألماني (انظروا كتابي: «أفكار في غير أوانها» الجزء الثالث) إن الألمان مستحيلون بالنسبة لي. وعندما أفكر في إنسان يكون ضد كل غرائزي فإن النتيجة دائمًا هي أنني أجد أنه ألماني. وأول اختبار أجريه على الإنسان هو ما إذا كان لديه شعور بالمسافة داخله؛ ما إذا كان يرى مرتبة وتدرجًا ونظامًا في كل مكان بين الإنسان والإنسان؛ ما إذا كان

يستطيع أن يُجري فروقًا؛ فهذا هو ما يكون السيد المهذب. وإلا فإنه ينتمي إلى أولئك المفتوحي القلب ويا للأسى! أجناس طبيعية طيبة كقصب السكر! غير أن الألمان هم قصب سكر ويا للأسى! إنهم ذوو طبيعة طيبة! إن الإنسان يحط من شأن نفسه عندما يقترن بالألمان؛ إن الألمان يضعون أنفسهم على قدم المساواة مع كل إنسان. فإذا توقعت تداخلي مع عدد قليل من الفنانين؛ وخاصة ريتشارد فاجنر فإنني يمكنني أن أقول إنني لم أمضِّ ساعة مبتهجة واحدة مع الألمان. وإذا قُدِّر لأعمق روح العصور أن تظهر بين الألمان منقذًا فتأكدوا أنه سيعلن أن نفسه غير جميلة وقد أصبحت أخيرًا عظيمة. إنني لا أستطيع أن أطيق هذا العرق من الشعوب حيث يكون الإنسان في صحبة سيئة دائمًا، وهم عرق ليست لديه أي روح إزاء ظلال الفروق بين الأشياء (وياللأسى إنني ظل من الفروق) وهم عرق ليست لديه (روح) في قدميه ولا يستطيع حتى أن يمشي! فالألمان ليست لهم أقدام على الإطلاق فليست لهم إلا مجرد سيقان. إن الألمان ليست لديهم أدنى فكرة كم هم سوقيون –وهذا نفسه ذروة السوقية، ولم يحدث إطلاقًا أن شعروا بالخجل بكونهم مجرد ألمان، وهم يدلون بدلوهم في كل شيء ويعتبرون أنفسهم ملائمين لتقرير كل شيء؛ وإنني أخشى أنهم قد قرروا ما يتعلق بي... وحياتي كلها في جوهرها

دليل على ذلك. وعبثًا بحثت بينهم عن علامة على اللطافة والرقة تجاهي. إنني لم أجد هذا أبدًا بين الألمان. غريزتي هي أن أكون معتدلاً وأريحيًا إزاء الجميع -ولديّ الحق في ألاّ أستنتج دومًا- ولكن هذا لا يمنعني من أن أبقى عينيّ مفتوحتين. وأنا لا أستثنى أحدًا، وحتى أصدقائي جميعًا- وكل ما آمله هو ألا يسيء هذا إلى سمعتي إزاء البشرية فيما يتعلق بهم. هناك خمسة أو ستة أشياء أعتبرها مؤشرات تشرفني، ومع هذا تظل هذه الحقيقة هي أنني لعدة سنوات أكاد أعتبر كل رسالة تلقيتها هي جزءًا من السخرية. وهناك المزيد من السخرية في موقف حُسْن النية تجاهي أكثر مما هو موجود في أي نوع من الكراهية. ولقد أخبرت كل صديق من أصدقائي صراحة أنه لم يفكر إطلاقًا في أن الأمر يستحق أن يُعَنِّي نفسه (لدراسة) أي من كتاباتي: إنني أستطيع أن أخمن من بعض المؤشرات البسيطة أنهم حتى ليسوا على ألفة بمحتويات هذه الكتب؛ وفيما يتعلق بكتاب (هكذا تكلم زرادشت) مَنْ من أصدقائي أمكنه أن يرى فيه شيئًا أكثر من مجرد قطعة يتعذر غفرانها؟ وإن كانت غير ضارة بالمرة، إنها عجرفة؟ لقد انقضت عشر سنوات ولم يشعر أحد بعد بأن من واجبه أن يدافع عن اسمي ضد الصمت العبث حيث يُدْفن اسمي تحته. لقد كان شخص أجنبي، أحد العمداء هو أول من أظهر شغفًا كافيًا

انطلاقًا من الغريزة والشجاعة ليقوم بهذا، وقد بدا ساخطًا نحو من يسمون أصدقائي، في أي جامعة اليوم يمكن أن يحاضروا عن فلسفتي على غرار المحاضرات التي ألقاها الدكتور براندیز في الأسبوع الماضي في كوبنهاجن؛ ومن ثَم برهن مرة أخرى على حقه في أن يُسمى عالم نفس؟ أنا نفسي لم أعانِ من كل هذا إطلاقًا؛ إن ما هو (ضروري) لا يثيرني. إن الحب المميت هو ما يشكل طبيعتي. وعلى أي حال، لا يمنع هذا من حب التهكم، حتى السخرية التاريخية العالمية، وعلى هذا قبل تدشين الرعد المدمر (لتجاوز تقييم كل القيم) بحوالي عامين والذي سيجعل الأرض كلها تنفجر بعثت بكتابي (قضية فاجنر) إلى العالم، كان على الألمان أن يخلدوا أنفسهم مرة أخرى بألا يسيئوا الظن بمهمتي كليةً –ولا تزال لديهم فسحة من الوقت. فهل فعلوا هذا؟ على نحو يدعو للإعجاب، يا أعزائي الألمان! كلٌّي يهنئكم.....

لماذا أنا مميت؟

(١)

إنني أعرف مصيري، فذات يوم سوف يرتبط اسمي بذكرى شيء مرعب - يرتبط بكارثة لم يسبق لها مثيل تمامًا، يرتبط بأشد تصادم عميق للضمائر بإدانة حاسمة لكل ما سبق الاعتقاد فيه مما هو مضحك.

إنني لست رجلاً، إنني ديناميت. وبكل هذا ليس في شيء يوحي بأنني مؤسس ديانة، الأديان هي شغل العامة، وعندما اتصل برجل متدين فإنه يجب عليّ أن أغسل يدي. أنا لا أريد «مؤمنين» بل أعتقد أنني ممتلئ بالحقد حتى أن أؤمن بنفسي، لم أوجه نفسي للجماهير إطلاقًا. وإن لديَّ رعبًا مخيفًا أن يأتي يوم أصبح فيه «مقدسًا». تستطيعون أن تتبينوا بسهولة لماذا أنشر هذا الكتاب مسبقًا - إنه لكي أمنع الناس من أن يسيئوا فهمي

أنا لا أريد أن أكون قديسًا، إنني بالأحرى أحب أن أكون مهرجًا، بل ربما أنا مهرج، وبالرغم من هذا -أو ربما بالأحرى وليس بالرغم من هذا «لأنه لا يوجد شيء على الإطلاق أكثر زيفًا

من القديس». إنني صوت الحقيقة لكن حقيقتي مخيفة: فحتى الآن قد سُميت «الأكاذيب» حقائق. «تجاوز تقييم كل القيم» هذه هي صيغتي عن سلوك البشرية من أسمى إقرار ذاتي أصبح فيَّ لحمًا وحقيقة. إن مصيري يقرر أنني يجب أن أكون أول كائن إنساني وديع، يجب أن أشعر بنفسي معارضًا لزيف العصور، إنني أول من يكتشف الحقيقة باستشعار الزيف كزيف. لقد استشعرت به هكذا. إن عبقريتي تكمن في أنفي فأنا أتشمم الآفات، إنني أتناقض بمثل ما لم يتناقض أحد من قبلي، ومع هذا فإنني عكس الروح السابق، إنني مبشر بفرح لم يُسبق في التاريخ، إنني أتعرف على مهام عظيمة لم يسبق تصورها، إن الأمل قد أُعيدت ولادته معي ومن هنا أنا بالضرورة رجل المصير، فعندما تنشغل الحقيقة بالصراع مع زيف العصور يجب أن نتوقع صدمات وسلسلة من الكوارث وإعادة تنظيم الجبال والوديان كما لم يُحكم بهذا من قبل.

إن مفهوم «السياسة» قد ارتفع هكذا متجسدًا في عالم الحرب الروحية، إن كل الأشكال القوية للمجتمع القديم قد تم نفخها في الهواء – لأنها كلها قائمة على الزيف. سوف تكون هناك حروب لم يوجد مثلها من قبل على الإطلاق في الأرض. إن السياسة على نطاق كبير سوف تحدد انطلاقاتي.

(٢)

هل تحبون أن تكون هناك صيغة متجسدة لمثل هذا المصير؟ إنها واردة في كتابي «هكذا تكلم زرادشت».

«إنَّ مَنْ يكون مبدعًا في الخير والشر يجب أن يكون في البدء مدمرًا ويمزق القيم تمزيقًا.

«ومن هنا فإن أكبر شر يمتّ إلى أكبر خير: لكن هذا هو الخير الخلاق».

إنني أكبر إنسان مخيف قد وُجد. ولكن هذا لن ينفي الحقيقة وهي أنني سأكون أكثر الناس كرمًا وأريحية، إنني أعرف فرح «الإفناء» إلى درجة تتناسب مع قدرتي على الإفناء، في كلتا الحالتين إنني أطيع طبيعتي الديونيسية التي لا تستطيع أن تنفي الفعل السالبي في القول الإيجابي. إنني أول إنسان لا أخلاقي، ومن ثَم فأنا مدمرٌ أساسًا.

(٣)

إن أحدًا لم يسألني – كما يجب أن أسأل – ماذا يعني بالدقة زرادشت الذي يتردد على لساني والذي يتردد على لسان أول لا أخلاقي؛ إن ما يشكل التفرد التاريخي لهذا الفارسي هو أنه

على العكس تمامًا. إن زرادشت هو أول من رأى في النزاع بين الخير والشر العجلة الجوهرية الدائرة في عمل الأشياء. إن تحول الأخلاق إلى ميتافيزيقا، إلى قوة، إلى علة أولى، إلى غاية في ذاتها. هو عمله، وليس الأمر يرجع فقط إلى أنه كانت لديه تجربة أطول وأعظم في الموضوع عن أي مفكر آخر -إن كل التاريخ هو في الحقيقة تفنيد تاريخي لنظرية ما يُسمى بالنظام الأخلاقي للعالم- إنّ ما هو أكثر أهمية في زرادشت هو أن زرادشت أكثر صدقًا من أي مفكر آخر.

إن تعاليمه هي وحدها تحدد الحق على أنه أعلى فضيلة -أي عكس جُبن «المثالي» الذي يهرب لمرأى الحقيقة. إن لدى زرادشت شجاعة أكبر من كل المفكرين الآخرين مجتمعين. إن قول الحقيقة وإطلاقها مباشرة: هذه هي الفضائل الفارسية، هل تفهمون؟... إن هزيمة الأخلاق نفسها من خلال الحق، هزيمة الأخلاقي لنفسه في ضده -فيَّ- هذا هو ما يعنيه اسم زرادشت على لساني.

(٤)

في الأعماق، هناك نوعان من السلب واردان في مصطلح اللاأخلاقي. السلب الأول نمط الإنسان الذي مر في السابق على أنه الأَسْمى -«الخير، الأريحي، المُحسن»، ومن جهة أخرى أنا

أنكر ذلك النوع من الأخلاق الذي جرى إقراره وساد كأخلاق في ذاتها -أخلاق التفسخ أو إذا استخدمت مصطلحًا أكثر وقاحة، الأخلاق المسيحية، وأنا أوافق على اعتبار السلب الثاني هو الأكثر حسمًا.

فإذا جاز لنا القول بصفة عامة، فإن الإفراط في تقييم الخير والشفقة يبدو لي أنه نتيجة التفسخ، علامة مرضية على الضعف، في تعارض مع الحياة الإيجابية المتصاعدة، إن السلب والإفناء شرطان للموقف الإيجابي، دعوني أتوقف لحظة عند مشكلة سيكولوجية الإنسان الخيِّر. فلكي نقيم أي نمط للإنسان علينا أن نحصي ثمن المحافظة على وجوده، يجب أن نعرف شروط وجوده، إن شرط وجود «الخير» هو الزيف، إذا عبرنا عن هذا بشكل مختلف نقول: عدم الرغبة في أن نرى الحقيقة كما هي مكونة بالفعل، حقيقة ليست دافعة دائمًا للغرائز الأريحية،ومع هذا أقل باعث على السرور مع التطفل المستمر للأيدي المهملة الخيرة، إن اعتبار الخطر من كل الأنواع على أنه اعتراض، على أنه شيء يجب تدميره هو بلاهة شديدة، إذا تكلمنا بصفة عامة، إنه شيء خطر بالفعل في نتائجه، غباء مميت -جنون مثل الرغبة في إلغاء الهواء الفاسد، ربما انطلاقًا من الشفقة على الفقراء، في الاقتصاد الكبير في العالم نجد أن أشكال الرعب من الحقيقة

في الانفعالات في الرغبات، في إرادة القوة، هي جوهرية بشكل لا يمكن إحصاؤه على نحو أكثر من ذلك الشكل للسعادة المتوسطة التي تسمى «الخيرية». إنه غباء مطلق أن نمنح للخيرية أي وضع على الإطلاق؛ لأنها مرتبطة بتزييف الغرائز، سوف تكون لدىّ فرصة طيبة لأظهر لكم النتائج الشجية للتاريخ، للتفاؤل، هذا النسل المشوه للإنسان المتفائل، إن زرادشت هو أول من رأى أن المتفائل متفسخ، شأنه في هذا شأن المتشائم تمامًا، بل ربما أكثر ضررًا، وزرادشت يقول:

«إن الأخيار لا يتحدثون إطلاقًا عن الحقيقة، إن الشواطى الزائفة والمواني الزائفة هي ما يعلمها لكم الأخيار، وفي أكاذيب الأخيار تولدون وتجرى تربيتكم، من خلال الخير يصبح كل شيء زائفًا ومعطوبًا من الجذور، ولحسن الحظ فإن العالم لا يُبنى فحسب علي تلك الغرائز حيث يحب العالم الحيواني القطيعي الطبيعي الخير سعادته التافهة، إن الرغبة في أن يصبح كل إنسان «رجلاً خيرًا»، حيوانًا كريمًا، إنسانًا أزرق العينين، أريحيًا، «نفسًا جميلة»، أو -كما أراد المفكر الإنجليزي هربرت سبنسر -خيرًا يعني سرقة الوجود من أعظم طابع له وخِصَاء للبشرية وردها إلى المغولية. «ولقد جرت محاولة هذا وهذا ما يسميه الناس الأخلاقيات». بهذا المعنى يسمى زرادشت «الخير»

الآن «آخر الرجال». ومرة أخرى إن هذا هو «بداية النهاية»، وفوق كل شيء يعدها «أشد نوع خطر من أنواع الإنسان»؛ لأنهم يضمنون وجودهم على حساب الحقيقة وعلى حساب المستقبل.

«الخير - إنهم لا يستطيعون أن يخلقوا، إنهم دائمًا بداية النهاية.

«إنهم يصلبون من يكتبون قيمًا جديدة على ألواح جديدة، إنهم يضحُّون بالمستقبل (لأنفسهم)، إنهم يصلبون مستقبل البشرية كلها! «الخير -إنهم دائمًا بداية النهاية».

«ومهما يكن الضرر الذي يفعله مشوهو العالم، (فإن ضرر الخير هو أكبر كوارث الضرر كله).

(٥)

إن زرادشت هو أول عالم سيكولوجي عن الإنسان الطيب، وهو بالتالي صديق للإنسان الشرير، وعندما يصل رجل منحل إلى أعلى مرتبة فإنه لا يعمل هذا إلاّ على حساب النمط المقابل -على حساب الرجل القوي المتيقن من الحياة، وعندما يشرق قطيع الحيوانات بالأشعة البراقة لأنقي فضيلة فإن الإنسان الاستثنائي لابد أن ينحط إلى مرتبة الشر، وعندها يصر على الزيف بكل ثمن على الرغم بأنه ينشر «الحقيقة» باعتبارها وجهة

نظر للعلم، فإن الإنسان الصادق حقًا يجب البحث عنه وسط من لهم أسوأ سمعة، وزرادشت هنا ليس له مثيل، فهو يقول إن معرفة الخير، و«الأفضل» هي بالضبط التي تسبب رعبه من الناس، ومن هذا الشعور بالاشمئزاز ينمى أجنحة بها يطير في آفاق المستقبل البعيدة. وهو لا يخفي أن هذا النمط من البشر، النمط الأعلى نسبيًا هو إنسان أعلى بصفة خاصة عند مقارنته بالإنسان الطيب، وإن الإنسان العادل سيسمى كونه الأعلى بأنه «شيطان».

«أنتم أيها الأعْلون الذين تسقط عليكم نظرتي، وهذا هو الشك الذي تثيرونه في الصدر، وهذا هو ضحكي السري، أنتم قد تسمون إنساني الأعلى الشيطان، أنتم غرباء في أنفسكم إزاء كل ما هو عظيم. وإن الإنسان الأعلى سيكون مرعبًا في أعينكم بسبب خيريته».

من هذه الفقرة، وغيرها يجب أن ينطلق الإنسان لفهم الهدف الذي يريده زرادشت -نوع الإنسان الذي يتصوره، وتصور الحقيقة «كما هي»، وهو قوي بما فيه الكفاية من أجل الحقيقة -إنه ليس مغتربًا وليس بعيدًا عنها، إنه هو نفسه الحقيقة وفيه يمكن أن نجد كل الشك والرعب في الحقيقة: «بهذا وحده يمكن للإنسان أن ينال العظمة».

(٦)

غير أنني اخترت عنوان اللاأخلاقي كعلاقة مميزة بمعنى آخر: إنني فخور بأن أمتلك هذا الاسم الذي يرفعني فوق كل البشر. فما من أحد حتى الآن قد شعر بأن الأخلاقيات المسيحية هي أدنى منه، ولكي يفعل هذا يجب أن تكون عنده ذروة، رؤية بعيدة، وعمق سيكولوجي بالهاوية، ولم يُسمع بمثل هذا من قبل على الإطلاق، حتى الآن من داخل الأخلاق المسيحية كانت دائرة كل المفكرين -إنهم يقفون في خدمتها مَنْ قبلي قد هبط إلى الكهوف التي انبعثت منها الروائح السامة لما هو مثالي- والذي هو فضيحة العالم؟ مَنْ قبلي قد جرؤ حتى على الشك في أنها كهوف؟ مَنْ مِنْ الفلاسفة السابقين عليَّ كان سيكولوجيًا وليس عكسه، أي «مخادعًا أعلى»، «مثاليًا»؟ قبلي لم توجد سيكولوجيا. وأن تكون الأول قد يكون لعنة، وعلى أي حال إنه قدر ومصير «فالأول يمكنه أيضًا أن يحتقر». إن خطري يشكل اشمئزاز البشرية.

(٧)

هل فهمتموني؟ إن ما يحددني، وما يضعني بمعزل عن بقية البشرية هو أنني «نزعت قناع» الأخلاق المسيحية، ولهذا السبب

أحتاج إلى كلمة تحتوي على فكرة تَحدٍّ كلي. إن كون عدم رؤية هذه الأشياء نظيفة يحط على ضميرها، إن خداع الذات قد أصبح غريزيًا، فقد حدثت إرادة أساسية لإغلاق عينَي الإنسان عن كل ظاهرة وعن كل علة وعن كل حقيقة، في الحقيقة لقد كان خداعًا سيكولوجيًا يرقى إلى مرتبة الجريمة، العماء في وجه المسيحية هو الجريمة الجوهرية -إنه الجريمة «ضد» الحياة، العصور والناس، الأول والأخير على السواء، الفلاسفة والسيدات العجائز، فيما عدا خمس أو ست لحظات في التاريخ، «وبالنسبة لي أنا اللحظة السابقة» كلهم آثمون على السواء.

إن الأخلاق المسيحية هي أشد أشكال إرادة التزييف خبثًا، إنها السيرك الحقيقي للإنسانية والذي أفسدها، إنها ليست خطأ مماثلاً للخطأ الذي يشعلني هنا غضبًا، إنه ليس نقص «الإرادة الطيبة» عبر العصور ونقص النظام والوداعة والشجاعة الروحية والذي يفضح نفسه في انتصار الأخلاقيات المسيحية، إنه غيبة الطبيعة، إنه الحقيقة الشحيحة الكاملة من أن ما هو غير طبيعي يحظى بأعلى تكريم للأخلاق ويظل محو ما فوق الإنسان أشبه بقانون الآمر الأخلاقي الذي طرحه الفيلسوف الألماني إمانويل كانتْ. تصوروا أنكم تتخبطون بهذه الطريقة «ليس» كفرد «ليس» كشعب، بل كبشرية! تعليم احتقار غرائز الحياة

الأولية، وإقامة «نفس» أو «روح» بشكل احتيالي يطرد الجسد، وتعليم الإنسان أن يجد عدم الصفاء في متطلبات الحياة –في الجنس والبحث عن مبدأ الشر في الاحتياج العميق من أجل التوسع– أي في محبة الذات القوية «والمصطلح نفسه يُعد فضيحة»، وبالعكس هو رؤية قيمة خلقية أعلى –ولكن ماذا أنا قائله؟ أقصد «القيمة الخلقية ذاتها» في العلاقات النمطية للتفسّخ، في تطاحن الغرائز في «اللاأنانية»، في فقدان مركز الثقل، في «الموضوعية» وفي «محبة الجار». ماذا ! هل الإنسانية نفسها في حال تفسخ؟ هل كانت كذلك دائمًا؟ إنَّ هناك شيئًا واحدًا مؤسسًا هو أنكم لم تتعلموا إلا قيم التفسخ باعتبارها القيم العليا.

إن أخلاقيات نكران الذات هي في جوهرها أخلاقيات التفسخ، إن حقيقة «إنني متجه إلى الكلاب» تجري صياغتها على شكل آمر أخلاقي «إنكم سوف تتجهون إلى الكلاب»– وليس فقط إلى الآمر الأخلاقي، هذه الأخلاقيات الخاصة بنكران الذات، الأخلاق الوحيدة التي تم تعليمها حتى تفضح الإرادة في العدم –إنها نفي أساسي للحياة، ولا تزال هناك إمكانية أن البشرية ليست هي التي تتفسخ وتنحط، بل ذلك النوع الطفيلي من الإنسان– الكاهن والذي عن طريق الأخلاقيات قد وضع نفسه في موضع محدد القيم، والذي شق في الأخلاقيات المسيحية طريقه إلى القوة، قوة الحقيقة،

هذا هو رأيي، إن معلمي وقادة البشرية -بمن في ذلك اللاهوتيون -كانوا جميعًا المتفسخين، ومن هنا جاء «تجاوز تقييم كل القيم» إلى معاداة الحياة، ومن هنا جاءت الأخلاقيات، هنا «تعريف للقيم»: الأخلاقيات هي مزاج المتفسخين عن طريق رغبة في الانتقام لأنفسهم بنجاح من الحياة. وأنا أعزو قيمة كبرى لهذا التعريف.

(٨)

هل فهمتموني؟ إنني لم أنطق بكلمة واحدة لم أقلها من قبل منذ خمس سنوات على لسان زرادشت. إن نزع قناع الأخلاقيات المسيحية هو حادث فريد، كارثة حقيقية! إن من يلقي الضوء عليها هو «قوة كبرى» قدر ومصير، إنه تقسيم تاريخ البشرية إلى قسمين، إن الإنسان إما أنه يعيش قبل زرادشت أو بعده، والحقيقة المضيئة كالبرق إنما تصعق ذلك الذي كان قد قام في الذروة: وإنَّ من يفهم ما كان قد دُمِّر حينئذ يجب أن ينظر ما إذا كان لا يزال يمسك بشيء في يده، إن كل شيء كان يسمى حتى وقتئذ حقيقة يجرى الاعتراف بها الآن على أكبر شكل مضر ومحتقر وخفي وخاص بالزيف، إن التظاهر المقدس «مسغبة» للإنسان يجرى إقرارها على أنها هدف لامتصاص الدم من الحياة. الأخلاقيات باعتبارها النزعة العفنة ومن ينزع قناع

الأخلاقيات ينزع في الوقت نفسه قناع عدم جدارة القيم التي يعتقد بها الناس أو قد آمنوا بها، إنه لا يرى شيئًا جديرًا بالتقدير في أشد الناس تبجيلاً -حتى في نمط الناس الذي أعلن أنه مقدس، إنه لا يرى فيهم سوى أشد أنواع السقوط باعثًا على المأساة المميتة، إنه مأساة مميتة «لأنهم يفتتنون به». ولقد اختُرع مفهوم «الرب» على أنه المفهوم المقابل للحياة- كل شيء ضار ومسَمَّم وإن مفهومَيْ «ما وراء» و«العالم الحقيقي» قد اختُرعا حتى لا نترك أي هدف، أي دلالة، أي مهمة لحقيقتنا الأرضية، وإن مفهومَي «النفس» و«الروح» وقبلهما مفهوم «النفس الخالدة» قد اختُرعت لتحقير الجسم وجعله مريضًا و«مقدسًا» وبث طيش مخيف نحو كل الأشياء في الحياة التي تستحق أن تُعامل بجدية، مسائل التغذية، الإسكان، التغذية العقلية، العناية بالمرضى، النظافة، الطقس، وبدل الصحة نجد «فقر النفس» -وبقول آخر «حُمْق دائر» بين اضطرابات الندم وهستيريا التكفير. ومفهوم «الخطيئة» مع أداة التعذيب يلائم هذا، ومفهوم «الإرادة الحرّة» قد اخترع لكي نضلل غرائزنا ونجعل عدم الثقة في الغرائز طبيعة ثانية للإنسان! وفي مفهومَيْ «اللاأنانية» و«إنكار الذات» تنكشف الأعراض المرضية الحقيقية للتدهور والترويج لما هو ضار وعدم القدرة على اكتشاف احتياجات الإنسان الحقيقية، وأخيرًا

التدمير -التدمير الذاتي يتحول إلى قيم تتحول كلها إلى «واجب» و«قداسة» و«ألوهية» الإنسان، وأخيرًا -وهو أشدها باعثًا على الرعب - فكرة الإنسان «الطيب الخيِّر» تظهر لتُغني كل شيء يكون مريضًا وضعيفًا وسيئًا والذي يعاني من نفسه، كل شيء يجب مواجهته، إن قانون الانتخاب الطبيعي تجري إعاقته، وهناك ما يجري طرحه في تعارض مع الإنسان المحظوظ الذي كله كبرياء، في تعارض مع الإنسان الإيجابي والذي هو متيقن من المستقبل، الإنسان الذي يضمن المستقبل -هذا الإنسان هو الذي يسمونه «شريرًا» وكل هذا يجري الاعتقاد به على أنه «أخلاقيات».

هل فهمتموني؟ «ديونيسيوس» ضد «المسيح»

محاولة للنقد الذاتي

(١٨٨٦)

مهما يكن الشيء الكامن في أعماق هذا الكتاب الباعث على الشك فإنه يُعد مسألة مهمة من الدرجة الأولى، زيادة على ذلك فإنها مسألة شخصية للغاية حتى الأعماق – وأرجو أن تلاحظوا الوقت الذي ظهر فيه وهو وقت الفترة المثيرة في الحرب الفرنسية الألمانية(١٨٧٠-١٨٧١) بينما كانت معركة فورث تدوّي مرعدة على أوروبا، فإن المفكر ومُحبّ الألغاز الذي سيكون أب هذا الكتاب جلس في موضع ما في زاوية على جبال الألب، وهو غارق في الألغاز والتأملات، وبالتالي كان هناك ما يهم وفي الوقت نفسه غير مهم، ولقد كتب تأملاته عن «اليونانيين» وهو لب الكتاب الغريب والصعب الذي يخصص له هذا الاستهلال «أو الخاتمة».

لقد مرت عدة أسابيع وقد وجد أن عقله لم يتحرر بعد من المشكلات المتعلقة بالاحتفاء المزعوم باليونانيين والفن اليوناني، إلى أن حدث أخيرًا في ذلك الشهر من التوقف العظيم عندما كانت

تجري المفاوضات بشأن السلام في فرساي أنه هو أيضًا أحرز سلامًا مع نفسه، وببطء يتماثل للشفاء من مرض حمله من الحقول، ففكر بشكل نهائي ومحدد فيما يتعلق بـ «مولد التراجيديا من روح الموسيقى». الموسيقى؟ الموسيقى -والتراجيديا؟ اليونان - والموسيقى التراجيدية؟ اليونان والمنتجات الفنية للتشاؤم؟ جنس من الناس حسنو الرونق رائعون يستلهمون الحياة على نحو لم يتحقق لجنس آخر -اليونان- حقًا؟ هل اليونانيون «محتاجون» للتراجيديا؟ -محتاجون- للفن؟ لأي شيء -الفن اليوناني؟

نستطيع هكذا أن نختم المسألة الكبرى التي بعثت على الاهتمام بقيمة الوجود، هل التشاؤم هو علامة على الانهيار والتفسخ والفشل والغرائز المنهكة والضعيفة؟ -كما هو الشأن مع الهنود، كما هو الحال معنا نحن الرجال والأوروبيين «المحدثين» على نحو ما هو ظاهر؟ هل هناك تشاؤم في القوة؟ هل هناك ولع عقلاني بما هو صعب ومخيف وشرير. ونحن نرى غازي الوجود يكون نتيجة الرفاهية والثروة المفرطة و«امتلاء» الوجود؟ هل يُحتمل أن تكون هناك معاناة متضمنة في ذلك الإفراط في الامتلاء؟ أليس الأمر محتاجًا إلى شجاعة ذات عين فاحصة مغوية «تحذر» من المرعب تحذيرها من العدو، العدو الحق، الذي قد يقيس به قوتها والذي منه قد تتعلم ما هو «الخوف»؟ ماذا تعني الأسطورة «المأساوية»

بالنسبة لليونانيين في الحقبة الممتازة والقوية والشجاعة؟ ماذا تعني الظاهرة غير العادية المدهشة لديونيسيوس؟ ماذا يعني ما وُلد من ديونيسيوس ألا وهو التراجيديا؟ مرة أخرى، ماذا يعني ذلك الذي منه تموت التراجيديا، سقراطية الأخلاقيات، الاحتفاء والإعلاء الجدلي للرجل النظري؟ ألا يمكن أن تكون هذه السقراطية نفسها علامة على الانهيار والتعب والمرض والغرائز المنحلة الفوضوية؟ و«الاحتفاء اليوناني» بالهللينية المتأخرة ألا يمكن أن يكون هذا مجرد غروب متوهج؟ هل الإرادة الأبيقورية «المواجهة» للتشاؤم مجرد تحذير لمن يعاني؟ والعلم ذاته -علمنا-.الذي يُعد علامة علي الحياة، ماذا يعني كل هذا العلم حقًا؟ إلى أين -والأسوأ «متى»- كل هذا العلم؟ حسنًا؟ ألا يمكن أن يكون الإفراط في العلم مجرد خوف من غزو التشاؤم؟ هل هو دفاع دقيق ضد الحقيقة؟ وإذا تكلمت بلغة الأخلاق هل هو شيء يشبه الزيف والجبن؟ وإذا تحدثنا بلغة غير أخلاقية هل هو فن مصطنع؟ أواه يا سقراط، يا سقراط، هل يُحتمل أن يكون هذا هو سرّك؟ أيها المتهكم الغامض هل يحتمل أن يكون هذا - تهكمك أنت؟

(٢)

إن ما بدأت أتناوله حينئذ هو شيء مرعب وخطر، مشكلة ذات قرون، هي ليست بالضرورة ثورًا، ولكنها على أي حال مشكلة «جديدة» واليوم يجب أن أقول إنها كانت «مشكلة العلم» ذاته -لقد كان العلم يبدو لأول مرة على أنه إشكالي ومثير للإشكالية، غير أن الكتاب - نتاج حماستي وشكوكي في الشباب- إن ما يحتاج إليه الكتاب «المستحيل» هو تبين مهمة ملائمة لشاب. لقد بُني على تجارب شخصية غير ناضجة مفككة وكلها تجارب قريبة من مشارف ما هو متواصل وقد نُظر إليه من منظور «الفن»- لأن مشكلة العلم لا يمكن ألا نهتم بها على عمل العلم، إنه كتاب ربما للفنانين «أي النوع الاستثنائي من الفنانين الذي يجب أن يبحث عنهم المرء ولا يعبأ حتى بأن يبحث عنهم....» مع وجود اتجاهات تحليلية واسترجاعية تصاحب أمثال هؤلاء الفنانين؛ مليء بالاصطلاحات السيكولوجية وأسرار الفنانين مع وجود ميتافيزيقا للفنان في الخلفية، إنه عمل من أعمال الشباب مليء بروح الشباب، وكآبة السباب وهو مستقل وهو كافٍ بذاته قطعًا، حتى عندما يلوح أنه ينحني لسلطة ما وتبجيل ذاتي ما.

بالاختصار، إنه عمل أو بكل ما في الكلمة من سوء، وبالرغم من مشكلته القديمة فإنه مليء بكل أخطاء الشباب. مليء فوق

كل شيء بإطناب الشباب وجماعة «العاصفة والاجتياح» الأدبية لدى الشباب.

من جهة أخرى، في ضوء النجاح الذي تم «وخاصة بالنسبة للفنان العظيم الذي تتوجه إليه على شكل حوار وهو ريتشارد فاجنر» كان كتابًا «شيطانيًا»، أعني كتابًا هو بكل المعايير كافٍ «لخير ما في زمنه» وعلى هذا يجب تناوله بشيء من الاعتبار والتحفظ، ولكنني مع هذا لن أخفي تمامًا مقدار المشاعر غير الطيبة التي أيقظها فيَّ، فبعد ستة عشر عامًا يقف غريبًا تمامًا بالنسبة لي -أمام عين أكثر نضجًا وأكثر ثباتًا بمئات المرات، ولكنها لم تَنِمْ على الإطلاق لتكون أكثر برودة، إنه حين لم تفقد أيًا من اهتمامها بتلك المشكلة ذاتها التي هاجمها لأول مرة هذا الكتاب الجريء -إنه ينظر للعلم من خلال عينَي الفنان وأن ينظر للفن من خلال عيون الحياة.

(٣)

دعوني أكرر إن الكتاب يبدو لي اليوم مستحيلاً. بالنسبة لي وإنني أعتبره قد كُتب بشكل سيئ، فهو مُثقل ومؤلم ومليء بالجري وراء الصور وجَيَشان العاطفة، معسول أحيانًا حتى درجة التخنث، غير مستقيم في إيقاعه، خالٍ من إرادة الوضوح

والمنطق مليء بالتظاهر، وهو لا يثير الثقة حتى بخاصية التظاهر، يظهر نفسه ككتاب للمبتدئين، يظهر نفسه «كموسيقى» لأولئك المُعَمدين باسم الموسيقى، يظهر نفسه ككتاب بالنسبة للمتحدين منذ بداية الأشياء بتجارب شائعة ونادرة في الفن.

كعلامة مضادة لعلاقات الدم في الفن –إنه كتاب متغطرس وخيالي. وهو من أول صفحة ينسحب من الدنيوية السوقية للمثقفين لا من «الناس»، ولكن كما أظهر تأثيره ولا يزال يظهر يعرف تمامًا كيف يُفْحم الرفاق المتحمسين ويقودهم إلى دروب فرعية جديدة وأمراض تميد رقصًا. هنا على أي حال تم الاعتراف بهذا بفضول وعلى نحو متوسط –هنا يتكلم صوت «غريب» تلميذ «إنه مجهول» لا يزال، هو في الوقت الراهن قد تخفًّي وراء أغطية الدارس الباحث، وراء ثقل الألماني وعدم راحته في مواجهة الديالكتيك حتى في ظل العادات السيئة للفاجنرية، هناك كانت روح ذات احتياجات غريبة لا تزال مما لا يمكن تسميتها، ذكرى تموج بالمشكلات والتجارب وأشكال الغموض، بجانبها يقف اسم ديونيسيوس مثل علامة استفهام أخرى، هنا تحدث –هكذا قال الناس لأنفسهم– بشك على نحو قريب من الصوفي والنفس المتلئة هوسًا، والتي لم تقرر ما إذا كان يجب عليها أن تكشف نفسها أو تخفيها، إنه يتمتم دون سيطرة وتحكم وبصعوبة كما لو كان يتمتم بلسان أعجمي غريب.

لا بد أنها غنت تلك النفس الجديدة –ولا لم تتكلم! يالها من شفقة فلم أجرؤ أن أنطق بأفكاري كشاعر! ربما كنت فعلت هذا، أو على الأقل كعالم لغوي: فحتى اليوم يكاد يكون كل شيء في هذا المجال محتاجًا إلى اكتشافه وكشف الغطاء عنه على يد فقيه اللغة! وفوق كل شيء كانت هناك المشكلة، هنا «كانت» مشكلة أمامنا –وهي مشكلة لم يكن لدينا جواب عنها وهي «مَنْ هو الديونيسي؟» واليونانيون يجب أن يظلوا الآن كما كانوا غير معروفين وغير معقولين.

(٤)

نعم، مَنْ الديونيسي؟ في هذا الكتاب نجد إجابة، فهنا يتكلم «إنسان عارف» إنه المريد لإلهه وتلميذه، وربما عليَّ اليوم أن أتحدث بطريقة أكثر حذرًا وأقل فصاحة عن سؤال سيكولوجي صعب مثل ذلك السؤال عن أصل التراجيديا.

السؤال الأساسي هو علاقة اليوناني بالألم ودرجة حساسيته –هل تظل دائمة؟ أم أنها تختلف؟– هل «شوقه المتزايد دائمًا للجمال» والاحتفالات والطقوس الجديدة تنمو حقًا من الحاجة والمسغبة والكآبة والألم؟ فحتى لو كان هذا حقيقيًا –وبركليز

«أو ثيوكيديس» يحاكي الكثيرين في مظاهر تشييع الجنازة – فكيف ستغدُّ الحنين المقابل الذي يسبق هذا «الحنين للقبح» شجاعة هيلين، إرادة صارمة للتشاؤم، أسطورة تراجيدية، تصور لكل ما هو مرعب وشرير وغامض ومدمر ومميت في أساس الوجود؟ متى إذن يجب أن تكون التراجيديا قد ظهرت؟ ربما من «المرح» من القوة، من الصحة الوفيرة، من الإفراط في الامتلاء، وماذا إذن –إذا تحدثنا فسيولوجيا– دلالة ذلك الجنون، الجنون الديونيسي الذي ظهر منه الفن الكوميدي وكذلك الفن المأساوي؟ ماذا؟ هل ممكن أن ذلك الجنون ليس بالضرورة علامة على الانحطاط والانحدار والثقافة المتفسخة؟ ربما يكون هذا سؤالاً للمغتربين – هل هناك عصيان «للصحة»، هل هناك من الإله والماعز في الساتير إله الغابات الذي له ذيل وأذن فرس والمولع بالعربدة؟ ما هي التجربة الشخصية، ما هو التفسير الذي جعل اليونانيين يتصورون المعربد الديونيسي والإنسان البدائي كساتير؟ وبالنسبة لأصل الكورس أو الجوقة التراجيدي: هل كانت هناك حالات وَجْد قرصنية مستوطنة في تلك الفترات عندما ازدهر الكيان اليوناني والروح اليونانية فاضت بالحياة، هل هي الرؤى، ربما والهلوسات التي استحوذت على التجمعات الخاصة بالطقوس؟ ماذا لو كان لدى اليونانيين الثراء الشديد

لشبابهم إرادة «أن يكونوا» مأساويين وكانوا متشائمين؟ ماذا لو كان الجنون نفسه -إذا استخدمنا كلمة من أفلاطون- هو الذي أضفى أعظم العبارات على اليونان؟ وماذا من وجهة أخرى وبالعكس إذا كان في اللحظة نفسها لتحلل اليونانيين، وضعفهم قد أصبحوا أكثر تفاؤلاً وأكثر تفوقًا وأكثر تمسكًا بالمنطق وإضفاء للطابع المنطقي على العالم- وبالتالي أكثر «احتفاء» وأكثر «علمانية»؟ نعم، بالرغم من كل «الأفكار الحديثة» والابتسارات الديمقراطية، ألا يمكن لانتصار «التفاؤل» وهيمنة «الحس المشترك» و«النفعية العامة» العلمية والعملية «مثل الديمقراطية نفسها التي بها تكون متزامنة»- ألا يمكن لكل هذا أن يكون أعراضًا للقوة المنهارة والعمر الذي يشيخ والتعب الجسماني؟ «ألا» يمكن بأي معنى أن يكون تشاؤمًا؟ هل كان أبيقور متفائلاً -بسبب «المعاناة»؟. نستطيع الآن أن نرى عبء ثقل التساؤلات التي وضعها هذا الكتاب على عاتقه -ولا تَدَعونا نخطئ في أن نضيف ثقل أعظم كل التساؤلات كلها! من منظور «الحياة» ما معنى -الأخلاقيات؟

(٥)

حتى في التصدير لريتشارد فاجنر فإن الفن -وليس الأخلاقيات

– هو الذي يُطرح على أنه النشاط «الميتافيزيقي» الحق للإنسان. في الكتاب نفسه تتردد كثيرًا القضية المثيرة الحادة القائلة إن وجود العالم لا «يتم تبريره»إلا كظاهرة جمالية، وفي الحقيقة إن الكتاب بأكمله لا يقرر إلاّ الفكر– الفنان وما وراء فكر الفنان وما وراء كل الأحداث– يوجد «إله» إذا أحببتم لكنه إله– فنان وهو إله يريد في الخير كما في الشر أن يصبح واعيًا بفرحه وسيطرته المتماثلين، والذي في خلق العوالم يحرر نفسه من «الكرب» الخاص بالامتلاء و«الإفراط في الامتلاء»، من «المعاناة» من التناقضات المتمركزة داخله.

إن العالم يجري تصوره على أنه تحرر مستمر من الرب، على أنه التغير الدائم والرؤية المتجددة دومًا لأشد معاناة، وأشد وجود متناقض وممزق ولا يستطيع أن يحرر نفسه إلا في «المظهر». قد تسمون هذا ابتسارًا، تسللاً، شطحًا خياليًا، إذا أردتم –لكن النقطة المهمة هي أن هذه الميتافيزيقا –الفنان، تكشف عن وجود روح صُممت ذات يوم كيفما اتُّفق على أن تقف في وجه التأويل «الخلقي» ومعنى الحياة، وربما هنا لأول مرة يوجد تشاؤم، وكتاب «بمعزل عن الخير والشر» يعلن عن نفسه، هنا الشكل والتعبير يستسلمان «لانحراف المزاج» والذي ضده لم يهدأ شوبنهور إطلاقًا في صب صواعقه عليه –وهنا فلسفة–

مع وجود قصد ازدرائي، تجرؤ على طرح الأخلاقيات نفسها في عالم الظواهر وليس فقط بين عالم الظواهر «بالمعنى المثالي للمصطلح»، بل بين «الأوهام» كمظهر وتظاهر وخطأ وتأويل وعقلانية وفن. ربما عمق هذه النزعة «المضادة للأخلاقيات» يمكن تقديرها على أحسن وضع من الصمت الحَذِر والمعادي الذي عولجت به المسيحية في الكتاب -المسيحية وقد عولجت على أنها سخرية مبالغة للموضوع الخلقي الذي اضطرت البشرية أن تنصت له. في الحقيقة، لا يوجد موضوع متناقض أعظم ضد التأويل الجمالي للعالم وتبريره هكذا في الكتاب عن العقيدة المسيحية التي هي أخلاقية «فحسب»، والتي لا تريد سوى أن تكون أخلاقية فحسب وهي بكل معاييرها المطلقة مثلاً «صدق الإله» ترد الفن بل كل فن إلى عالم «الزيف» -وهي بهذا تندد وتدين وتلقن-وراء مثل هذا النمط من التفكير والتقييم لو كان أصلاً أصيلاً والذي يجب أن يكون معاديًا للفن، أشعر دائمًا بشيء معادٍ للحياة، ففي إرادة الحياة نفي كله حنق وقطعية، فالحياة كلها تقوم على المظهر والفن والوهم والرؤية الإنسانية وضرورة المنظور والخطأ.

إن المسيحية كانت أساسًا وطوال أمرها الغثيان والاشمئزاز من الحياة، وتتقنع وتختفي وراء الاعتقاد بوجود حياة «أخرى»

و«أفضل». إن كراهية «العالم» وإدانة العواطف، والخوف من الجمال والحساسية مما هو وراء، اخترعت كلها للتنديد بهذا العالم، وهنا يكمن حنين العدم، للنهاية للراحة، «الراحة الأسبوعية»- كل هذا بالإصرار اللامشروط للمسيحية على الاعتراف بالقيم الخلقية «وحدها» قد بدا لي على أنه أخطر أشكال«إرادة الفناء»؛ بدا لي على الأقل على أنه عَرض لأشد الأمراض المميتة وأشد أشكال القلق، الإصابة بالسكتة القلبية، والإنهاك، والأنيميا، فإذا حكمنا عن طريق الأخلاقيات «خاصة المسيحية» أي «الأخلاقيات المطلقة»، فإن الحياة «يجب» أن تكون هي الخاسرة دائمًا.

وبشكل محتم، لأن الحياة هي شيء غير أخلاقي -في الحقيقة مثقلة ثقل الاحتكار و«السلب» الدائم، إن الحياة «يجب أن نستشعرها في النهاية على أنها غير جديرة، مرة أخرى رغبة كما لو كانت هي في ذاتها شيئًا عديم القيمة، الأخلاقيات نفسها؟ - ماذا؟- أليست الأخلاقيات هي إرادة لنفي الحياة»، أليست غريزة سرية للإفناء والتعديم، أليست هي مبدأ التآكل والانحطاط والتدهور، أليست هي بداية النهاية، وبالتالي أليست هي خطر الأخطار؟... إذن «ضد» الأخلاقيات تحولت غريزتي وهي غريزة للدفاع عن الحياة وقد تحولت في هذا الكتاب المثير إلى أن تكون فنية بشكل خالص و«مضادة للمسيحية»، وهي تخترع لنفسها

عقيدة مضادة أساسية وتقييمًا مضادًا للحياة. ماذا يجب أن أسمي هذا؟ إنني كفقيه في اللغة أديب وسيد الكلمات أُعَمِّد هذا - ولا يخلو الأمر من بعض الوقاحة- فمن يمكن أن يتأكد من الاسم الملائم للمسيخ الدجال؟ -وأنا أعمّد هذا باسم إله يوناني أسميه «الديونيسي».

(٦)

هل تستطيعون أن تتبينوا المشكلة التي جرؤت على أن أقترحها في هذا الكتاب المبكر؟ وكيف لي الآن أن أعتذر عن هذا في زمن ليست لديَّ فيه الشجاعة؟ «من باب عدم التواضع» أن أسمح لنفسي بلغة «مفردة» لمثل هذه التأملات والمحاولات الفردية -التي سعيت إلى التعبير عنها ما وسعني بمصطلحات كانتْ وشوبنهور بقيم غريبة وجديدة ومعادية أساسًا لروح وذوق كانتْ وشوبنهور أيضًا! فعلى سبيل المثال، ما آراء شوبنهور في التراجيديا؟ يقول في كتابه «العالم كإرادة وامتثال» «إن ما يعطي كل تراجيديا ميلاً مفردًا نحو الارتفاع والسمو هو إيقاظ المعرفة بأن العالم والحياة لا يمكن أن يشبعانا تمامًا، ومن ثم فهما غير جديرين بارتباطنا بهما، في هذا تقوم الروح التراجيدية: ومن ثَم فإنها تُفضي إلى الاعتزال». أواه، كم يبدو صوت ديونيسيوس مختلفًا! كم يبدو لي غريبًا هذا الاعتزال نفسه! غير أن هناك شيئًا أسوأ في هذا الكتاب

وهو ما آسَف له الآن على نحو أكثر مما أعتذر عن كوني خلطت وأفسدت التوقعات الديونيسية بصياغات شوبنهور.

بصفة عامة، لقد «أفسدت المشكلة الهللينية» الكبرى كما أراها بخليط من الأفكار الحديثة! لقد أضمرت الآمال عندما لم يكن هناك أي أمل وعندما كان كل شيء يشير بوضوح إلى نهاية على وشك الوقوع! وعلى أساس موسيقانا الألمانية في أيامنا المتأخرة بدأت أكتب القصص عن «الروح التيوتونية» الألمانية كما لو كنت على وشك أن أكتشف شيئًا وأرجع إلى الذات – ولقد فعلت هذا عندما كانت الروح الألمانية التي لم تكن من قبل قد طلت وعندما تتقدم الإرادة وتسيطر على أوروبا، و«استقلت» في النهاية وتحت التظاهر المدوي لتأسيس إمبراطورية – مما أدى إلى تحويلها إلى نزعة متوسطة وديمقراطية وإلى «أفكار حديثة»: وفي الحقيقة لقد تعلمت منذ ذلك الوقت أن أعتبر هذه «الروح التيوتونية» دون أمل أو شفقة، على نحو ما أعتبر «موسيقانا الألمانية» المعاصرة رومانسية من خلال عدم يونانيتها من بين كل أشكال الفن، وزيادة على ذلك مدمرة للأعصاب من الطراز الأول وخطرة بالنسبة لأناس يحبون الشرب ويبجلون الغموض كفضيلة –خطرة في قدرتها المزدوجة على التحرير المدوخ والباعث على الغباء.

وبطبيعة الحال بمعزل عن كل الآمال الطموحة والتطبيقات الخاطئة بالنسبة لمسائل جريئة بشكل خاص والتي جسدتُها آنذاك في كتابي الأول، وهي المشكلة الديونيسية العظيمة التي افترضتُها هناك، وهي تلح مع الإشارة إلى الموسيقى، كيف يمكن أن نتصور موسيقى لم تعد –شأنها شأن الألمان– من أصل رومانسي بل من أصل «ديونيسي»؟

(٧)

ولكن يا سيدي العزيز، إذا كان كتابك «أنت» ليس كتابًا رومانسيًا فبحق السماء ما هو؟ هل يمكن لكراهية عميقة للحاضر و«للواقع» و«الأفكار الحديثة» أن تتأكد أكثر مما كانت في ميتافيزيقاك الخاصة بالفنان؟ –والتي تؤمن بالأحرى بالعدم أو الشيطان أكثر مما تتأكد من «الآن»؟ أليس هناك هدير جهير من الغضب والفرح المدمر وراء كل فنك الصوتي ذي الطبقات الموسيقية وانتهاكك السمعي؟ ألا يحتوي الكتاب على تصميم جنوني لمعارضة كل ما هو «الآن» إرادة لا تبعد كثيرًا عن العدمية بصيغتها التي يبدو أنها تقول: «لا تدع شيئًا يكون حقيقيًا أسرع من أن يكون لك «أنت»؛ حتى تسود حقيقتك أنت»! أَنصت إلى

نفسك يا سيدي العزيز المتشائم ويا أيها المتحدّي الفنان، أنصت بعيون مفتوحة إلى فقرة وحيدة مفردة في كتابك وهي ليست فقرة تنقصها الفصاحة، والتي يمكنها أن تذبح تنينًا والتي يمكن أن يكون لها استجابة مُغوية لآذانكم وقلوبكم، ما هي؟ أليست الرومانسية في ١٨٣٠م، والممتازة تتقنع كتشاؤم ١٨٥٠م؟ وبعدها بطبيعة الحال النهاية الرومانسية المعتادة تضرب في النور تتوقف، تنهار، تُعَدِّد وتتقهقر أمام اعتقاد قديم، أمام «الرب».ماذا؟ أليس كتابك المتشائم نفسه قطعة معادية للهللينية، أليس مثالاً للرومانسية، شيئًا صاخبًا وباعثًا على الغباء، على السواء؟ إنه مخدر، قطعة من الموسيقى، قطعة من الموسيقى «الألمانية» انتبهوا لهذه الفقرة.

«دعونا نتخيل جيلاً ناهضًا بهذه الرؤية الجريئة، هذه الرغبة البطولية للعظمة، دعونا نتخيل الخطوة الضخمة لهؤلاء الذابحين للتنين، الجرأة المتكبرة التي يديرون بها ظهورهم لكل عقائد المتفائلة البالية؛ حتى «يعيشوا بتصميم» على نحو كامل وتام.

«ألن يكون ضروريًا» للإنسان التراجيدي لهذه الثقافة بما لديه من اتباع ذاتي للجدية والرعب أن يرغب في فن جديد، في «الراحة الميتافيزيقية» ألا وهي التراجيديا -ليعلنها هللينية ويصيح مع فاوست بطل الشاعر الألماني جيته:

«ألا يمكنني بالرغبة العظيمة في الحياة أن أصوغ ذلك الشكل الرائع الوحيد لكي أناله؟

«ألن يكون «ضروريًا»؟.... كلا، كلا، كلا، كلا!»

أيها الرومانسيون الشباب: «لن» يكون ضروريًا! ولكن يُحتمل تمامًا أن «تنتهي» الأشياء وأن تنتهوا «أنتم» وقد «ارتحتم» -إذا ما استخدمتم مصطلحي- بالرغم من كل من الاتّباع الذاتي للجدية والرعب. ترتاحون ميتافيزيقيًا بالاحتقار، تنتهون أيها الرومانسيون «وأنتم مسيحيون».لا! يجب أن تتعلموا أولاً فن الراحة الأرضية، يجب أن تتعلموا كيف تضحكون يا أصدقائي إذا أردتم أن تظلوا متشائمين: إذا حدث هذا ربما وأنتم الضاحكون تبعثون كل راحة ميتافيزيقية إلى الشيطان -والميتافيزيقا قبل كل شيء! وبلغة ذلك الصوت الديونيسي زرادشت:

«ارفعوا قلوبكم يا إخوتي عاليًا، إلى الأعلى! ولا تنسوا أرجلكم، ارفعوا أيضًا أرجلكم أيها الراقصون المتازون والأفضل أن تظلوا واقفين على رؤوسكم!

«إن هذا التاج من الضحك، هذا التاج المُكَلَّل بالورد: أنا نفسي قد لبست هذا التاج، أنا نفسي قد قدست ضحكي، وأنا لا أجد أحدًا اليوم قادرًا على هذا بما فيه الكفاية.

«زرادشت الراقص، زرادشت الخفيف، المتوحد مع جناحه

الطائر، المستعد للتحليق، المتوحد مع كل الطيور، المستعد والمتهيئ، الإنسان الروحي الخفيف الطائر المبارك:

«زرادشت المتنبئ، زرادشت الضاحك بنعومة، الإنسان غير الصبور، وليس الإنسان المطلق، الإنسان الذي يحب القفز والوثبات الجانبية: أنا نفسي قد لبست هذا التاج!

«هذا التاج من الضحك، هذا التاج المكلل بالورود: إليكم يا إخوتي هل أقذف هذا التاج! الضحك هو ما أتناغم معه، وأنتم أيها الناس الأَعْلَوْن «تعلموا» إنني أتضرع إليكم، أن تضحكوا!».

محتوى الكتاب

هـذا الإنسـان

إنه نيتشه ... اشهر فيلسوف الماني احدث ضجة كبيرة فهو يصف نفسه بانه المبشر بالبرق، وانه يريد التحليق إلى اعالي الجبال حيث الهواء الطلق الذي يساعد على التفكير الحر. وهو يسرد أراءه عبر كتبه واشهرها (هكذا تكلم زرادشت) وهو يعلن عداوته للمسيخ الدجال الذي يريد أن يقضي على القيم الروحية في عداوته للبشر.

ISBN 9773563359

9 789773 563356

هلا للنشر والتوزيع

www.halapublishing.net
hala@halapublishing.net